□ عُلوُّ الهِمة في الذِّكْر وتِلاوةِ القرآنِ □

« الذِّكْرُ مَنْشورُ الولاية ، الذي من أُعطيه اتَّصل ، ومن مُنعه عُزل ، وهو قوتُ قلوب القوم ، الذي متي فارقها صارت الأجسادُ لها قبورًا ، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بُورا .

وهو مَنْزِلُ القوم الذي منه **يتزوَّدُون** ، وفيه يَتَّجرون ، وإليه دائمًا يتردَّدون ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطَّاع الطريق ، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ، ودواءُ أسْقَامهم الذي متى فارقهم انتكستْ منهم القلوب ، والسَّبب الواصل والعَلاقة التي كانت بينهم وبين علَّام الغيوب .

إذَا مَرِضْنَا تداوينَا بِذِكْرِكُمُ ... فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

به يستدفعون الآفات ، ويستكْشِفون الكُرُبات ، وتهون عليهم به المصيبات . إذا أظلَّهم البلاءُ فإليه ملجؤهم ، وإذا نزلت بهم النوازلُ فإليه مَفْزَعُهم . فهو رياض جَنَّتهم التي فيها يتقلبون ، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتَّجرون ، يدعُ القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا ، ويوصل الذاكرَ إلى المذكور بل يدع الذَّاكر مذكورًا .

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقَّتةٌ . و« الذِّكْر » عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة . بل هم يُؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال ؛ قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ، فكما أن الجنة قيعان ، وهو غراسها ، فكذلك القلوب بورٌ خرابٌ ، وهو عِمَارتها وأَسَاسها .

وهو جلاءُ القلوب وصِقَالُها ، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها ، وكلما ازداد الذَّاكِرُ في ذكره استغراقًا ، ازداد المذكورُ محبةً إلى لقائه واشتياقًا . وإذا وَاطَأ في ذكره قَلْبُه للسانه ، نسي في جنب ذكره كل شيءٍ ، وحفظ اللهُ

عليه كلَّ شيءٍ ، وكان له عوضًا من كل شيءٍ .

به يزول الوَقْرُ عن الأسماع ، والبكم عن الألسن ، وتَنْقَشع الظُّلْمَةُ عن الأبصار .

زيَّن الله به ألسنةَ الذّاكرين ، كما زين بالنُّور أبصار الناظرين .

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ، ما لم يغلقه العبد بغفلته .

قال الحسن البصري رحمه الله : تفقَّدوا الحلاوةَ في ثلاثة أشياء : في الصلاة ، وفي الذِّكر ، وقراءة القرآن ، فإنْ وجدتم ..... وإلَّا فاعلموا أنَّ الباب مغلق .

وبالذِّكر يَصْرَع العبدُ الشيطان ، كما يصرعُ الشيطان أهلَ الغفلة والنسيان . **قال بعض السَّلف : « إذا تمكن الذِّكْر من القلب ، فإن دنا منه** الشيطان صَرَعه كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشَّيطان . فيجتمع عليه الشياطينُ فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسَّه الإنسيُّ »[١] .

ما عَرَفَ قدر جلاله من فَتَر لحظةً عن ذكره .

قال ذو النُّون : ما طابت الدنيا إلا بِذِكْرِهِ ، ولا طابت الآخرة إلا بِعَفْوه ، ولا طابت الجنة إلا برؤيته .

أَبَـدًا نُفُـوسُ الطَّـالبيـ ـنَ إلى رِيَاضِكُـمُ تَحِـنُّ
وَكَذَا القلوبُ بِذِكْرِكُمْ بَعْـدَ المَخَافَـةِ تَطْمَـئِنُّ
حَنَّتْ بِذِكْرِكمُ ومن يهْوَىٰ الحَبِيبَ ولا يَحِنُّ

---

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ٢ / ٤٢١ - ٤٢٢ .

وفي القلب خلَّة وفاقة لا يَسدُّهَا شيءٌ ألبتة إلا ذكرُ الله عز وجل ، فإذا صار الذكر شعارَ القلب ، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة ، واللسان **تبعًا له** ، فهذا هو الذكر الذي يسدُّ الخَلَّة ، ويُفني الفَاقة .

والذِّكْر يَجْمع المُتفرِّق ، ويفرِّق المجتمع ، ويقرِّب البعيد ، ويبعد القريب ، فيجمع ما تفرَّق على العبدِ من قلبه وإرادته ، وهمومه وعزومه ، والعذاب كلَّ العذاب في تفرقها وتشتّتها عليه ، وانفراطها له ، والحياةُ والنعيمُ في اجتماع قلبه وهَمِّه ، وعزمه وإرادته .

ويفرِّق ما اجْتَمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوتِ حُظُوظه ومطالبه .

ويفرِّق أيضًا ما اجتمع عليه من ذُنُوبه وخطاياه وأَوْزاره .

ويفرِّق ما اجتمع على حَرْبه من جند الشيطان ، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية ، وكلَّما كان أقوى طلبًا لله سبحانه وتعالى ، وأَمْثَل تعلّقًا به وإرادة له ، كانت السَّريةُ أكثف وأكثر وأعظم شوكةً ، بحسب ما عند العبدِ من مواد الخير والإرادة ، ولا سبيلَ إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر .

ويقرِّب إليه الآخرة ، فلا يزال يَلْهج بالذِّكْر حتى كأنه قد دخلها وحضرها .

والذكرُ ينبِّهُ القلبَ من نومه ، ويوقظه من سِنَتِهِ ، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباحُ والمتاجر ، وكان الغالبُ عليه الخُسْران ، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته ، شَدَّ المِئْزَرَ ، وأَحْيَا بقيَّة عمره ، واستدرك ما فاته ، ولا تحصل يقظتُه إلا بالذِّكْر ، فإنَّ الغفلة نومٌ ثقيل .

والذِّكر شجرةٌ تُثْمر المعارف والأحوال التي شمّر إليها السَّالكون .

والذِّكْرُ يُثْمر المقاماتِ كلَّها من اليقظة إلى التوحيد ، ويَعْدل عتقَ الرِّقاب والحَمْل على الخيل في سبيل الله ، ويَعْدل الضربَ بالسَّيْف في سبيل الله عز وجل ، وهو خيرُ الأعمال على الإطلاق ، قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أنبِّئكم بخيرِ أعمالكم وأزكاها عند مَلِيككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الوَرِق والذَّهب ، وخير لكم من أن تلقوا عَدوَّكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « ذِكْرُ اللهِ »[1] .

وأعلى الذِّكر منزلةً تلاوة القرآن .. أَحْسَن الحديث والطّيب من القول .. مَزَاميرُ الأُنْس من حَضْرة القدس ، بألحان التوحيد من رياض التَّمجيد ، هذا طَعْم الخبر فكيف طعم النَّظَر !

آياتٌ منزَّلةٌ من حول العرش ، الأرض بها سماء هي منها كواكب .

ألفاظٌ إذا اشتدتْ فأمواه البحار الزَّاخرة ، وإذا لانت فأنفاسُ الحياة الآخرة .

معانٍ هي عذوبةٌ ترويك من ماءِ البيان ، ورقَّةٌ تَسْتروح منها نسيمَ الجِنَان .

ألفاظٌ لم تعهد كلم أحداقها ، وثمرات لم تنبت في قلم أوراقها .. نورُ القلوب الذي لا تستضيءُ إلا به ، وحياةُ الأرواح .. بل الروح الذي تتوقف الحياة الحقيقية عليه ... فضلُ اللهِ ورحمته ونعمته الكبرى ، لا يَسَعها

(١) صحيح : رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي الدرداء ، وصححه الحاكم ، والألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦٢٩ .

ولا يُحيط بها حَمْدُ وشُكْر الخلائق .

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنونَ ﴾ [العنكبوت : ٥١].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] .

وإذا فَرِحَ العبدُ بِفَضْلِ الله ورحمتِهِ وأنس به لَهِجَ به ، وعلتْ همَّته في تلاوتِهِ وتدبرِهِ والإكثار من الذِّكْر ، حتى يصيرَ الذكرُ والقرآن نعيمَ الرجلِ وعنوانه وجنته وبستانه وأنسه وميدانه .

قال تعالى لكليمه موسى عليه السلام : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ [طه : ٤٢] .

وقال تعالى على لسان نبيه موسى : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه : ٣٣ - ٣٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

وفي الأثر الإلٰهي : « إنّ عبدي - كلَّ عبدي - الذي يَذْكرني وهو مُلاقٍ قِرْنه » .

قال ابن القيم : « سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّسَ اللهُ روحَه - يستشهد به .

وسمِعته يقول : المحبُّون يفتخرون بِذِكْرِ من يحبونه في هذه الحال ، كما قال عنترة :

وَلَقَدْ ذَكَرْتكِ والرِّمَاحُ كَأَنَّهَا   أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ

وقال الآخر :

ذكَرْتُكَ والخَطِّيُّ يَخْطُر بيننا   وقد نَهَلَتْ منَّا المُثقَّفة السُّمْرُ

قال آخر :

ولقدْ ذكرتُك والرِّماحُ شَواجِرٌ   نَحْوي وبيضُ الهِنْد تَقْطُر من دمِي

وهذا كثير في أشعارهم . وهو مما يدلُّ على قوة المحبة ، فإن ذَكر المحب محبوبه في تلك الحال التي لا يهمُّ المرءَ فيها غير نفسه ، يدل على أنه عنده بمنزلة نفسِهِ أو أعز منها »[1].

وقال تعالى : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ واذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الجمعة : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ ... **والذَّاكرينَ اللهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ الآية [الأحزاب : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرونَ اللهَ قِيامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتفكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰواتِ والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجورَهُم وَيَزِيدَهُم**

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٤٢٧ - ٤٢٨ .

مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٩ - ٣٠] .

قال مُطرِّف بن عبد الله : هذه آية القُرَّاء .

وقال تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾ الآية [البقرة : ٢٠٠] .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « مَا مِن ساعةٍ تمرُّ بابنِ آدمَ ، لا يَذْكر اللهَ تَعَالَى فيها ، إلا تحسَّر عليها يوم القيامة »[١] .

وعن معاذ بن جبل يرفعه أيضًا : « ليس تَحسُّرُ أهل الجنة إلَّا على ساعةٍ مرَّتْ بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها »[٢] .

وعن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله ﷺ : أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله عز وجل ؟ قال : « أن تموتَ ولسانك رَطِبٌ من ذكر الله عز وجل »[٣] .

وعن قيس بن سعد بن عبادة قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدُلُّكَ على بابٍ من أبواب الجنة ؟ لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله »[٤] .

وقال رسول الله ﷺ : « أَكْثِرْ من : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛

---

(١) حسن : أخرجه أبو نُعيم في الحلية (٥ / ٣٦١ - ٣٦٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان كما في « فيض القدير » (٥ / ٤٨٣) ونقل المناوي عن البيهقي قوله : في هذا الإسناد ضعف ، غير أن له شاهدًا من حديثِ معاذ ، فالحديث حسن به .

(٢) صحيح : أخرجه ابن السُّني في « عمل اليوم والليلة » ، والطبراني والبيهقي ، وغيرهم .

(٣) حسن : أخرجه ابن حبان والبزار .

(٤) صحيح : رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه ، ورواه الخطيب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦١٠ .

فإنَّها من كَنْزِ الجنةِ »[١].

وقال رسول الله ﷺ : « أَكْثروا من قول : لا حول ولا قوة إلَّا بالله ، فإنَّها من كنوزِ الجنة »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « أَلَا أَدُلُّكَ على كلمةٍ من تحت العرش ، من كنز الجنة ؟ تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقول الله : أَسْلم عبدي واستسلم »[٣].

وقال رسول الله ﷺ : « أَكْثِرُوا من غَرْسِ الجنة ، فإنه عَذْبٌ ماؤها ، طيِّب تُرابها ، فأكثروا من غِراسها : لا حول ولا قوة إلا بالله »[٤].

وهناك أحاديث تَشْحَذُ الهِمَمَ وتُعليها في تلاوة القرآن والمداومة على الأذكار ؛ لعظيم أَجْرها وسموِّ فاعلها :

قال ﷺ : « اقْرَءُوا القرآنَ ، فإنَّكم تُؤْجرون عليه ، أمَا إني لا أقول : ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف ولكنْ ألفٌ عَشْر ، ولام عشر ، وميمٌ عشر ، فتلك ثلاثون »[٥].

---

(١) صحيح : رواه أبو يعلى ، والطبراني في الكبير ، وابن حبان ، عن أبي أيوب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٠٥ .

(٢) صحيح : رواه ابن عدي في الكامل عن أبي هريرة ، وأخرجه أحمد والترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢١٤ .

(٣) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك وصححه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦١٤ .

(٤) حسن : رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢١٣ .

(٥) صحيح : أخرجه أبو جعفر النَّحاس في « الوقف والابتداء » والسجزي في =

وقال ﷺ : « إنَّ لله تعالى أَهْلينَ من الناس » قالوا : مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن ، هُمْ أهلُ الله وخاصَّتُهُ »(١) .

وقال ﷺ : « أوصيك بتقوى الله تعالى ؛ فإنه رأسُ كلِّ شيءٍ ، وعليك بالجهاد ؛ فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ؛ فإنه رَوْحُكَ في السَّماء ، وَذِكْرُكَ في الأرض »(٢) .

وقال ﷺ : « خيارُكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه »(٣) .

وقال ﷺ : « خَيْرُكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه »(٤) .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى يرفعُ بهذا الكلام أقوامًا ويضع به آخرين »(٥) .

وقال ﷺ : « يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد لكل آيةٍ درجة ، حتى يقرأ آخر شيءٍ ....

= « الإبانة » والخطيب في التاريخ عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٦٠ .

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢١٦٥ .

(٢) حسن : رواه أحمد عن أبي سعيد ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٥٤٣ .

(٣) صحيح : رواه الدارمي عن سعد ، وأحمد وابن أبي شيبة عن علي ، وابن أبي شيبة عن عثمان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٢٦٨ .

(٤) رواه البخاري عن عثمان ، والترمذي عن علي ، وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن عثمان .

(٥) رواه مسلم وابن ماجه عن عمر .

معه »[(١)].

وقال ﷺ : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارْقَ وَرَتِّلْ كما كنتَ تُرَتِّل في دار الدنيا ؛ فإن **منزلتك عند آخر آيةٍ كنت تقرؤها** »[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السَّفَرة الكِرَام البَرَرَة ، والذي يقرؤه وَيَتَتَعْتَعُ فيه ، وهو عليه شاقٌّ ، له أجران »[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ : « من قَرَأَ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بِعَشْرِ أمثالها ، لا أقول : ﴿ **الٓمٓ** ﴾ حرف ، ولكن ألفٌ حرف ، ولامٌ حرف ، وميم حرف »[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ : « من سَرَّه أن يحبَّ الله ورسوله فليقرأ في **المصحف** »[(٥)].

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَلَّمَ آيةً من كتاب الله فله ثوابها ما تُليت »[(٦)].

---

(١) صحيح : رواه أحمد والنسائي وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن ابن عمرو ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٨١٢٢ .
(٢) صحيح : رواه أحمد والنسائي وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن ابن عمرو ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٨١٢٢ .
(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن عائشة .
(٤) رواه البخاري في التاريخ والترمذي والحاكم عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٤٦٩ .
(٥) حسن : رواه أبو نُعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٣٤٢ .
(٦) صحيح .

وقال رسول الله ﷺ : « لا حَسَدَ إلَّا في اثنتَيْن : رجلٌ آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناءَ الليلِ وآناءَ النهار . ورجلٌ آتاه الله مالًا ، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار »[١] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا حَسَدَ إلَّا في اثنتين : رجلٌ علَّمه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جارٌ له ، فقال : ليتني أُوتيتُ مثل ما أُوتِيَ فلان ، فعملتُ مثل ما يعمل . ورجل آتاه الله مالًا ، فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيتُ مثل ما أُوتي فلان ، فعملتُ مثل ما يعمل »[٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « يَجيءُ القرآنُ يوم القيامة فيقول : يا رب ، حَلِّه . فيُلْبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب ، زِدْهُ . فيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرامة ، ثم يقول : يا رب ، ارْضَ عنه . فيرضى عنه ، فيقول : اقْرأْ ، وارْقَ ، ويزداد بكل آية حسنة »[٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « اسمُ اللهِ الأعظم ، الذي إذا دُعي به أجاب ، في ثلاثِ سورٍ من القرآن ، في (البقرة) و(آل عمران) و(طه) »[٤] .

وعالي الهمة يَحْرِص على استجابة دعائه ، ويحرص على اسم الله الأعظم والدعاء به ؛ أشد من حرصه على حياته .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر .

(٢) رواه البخاري وأحمد عن أبي هريرة .

(٣) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٨٣٠ .

(٤) صحيح : رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم عن أبي أُمَامة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٩٧٩ .

وقال ﷺ : « **أُعطيتُ** هذه الآيات ، من آخرِ سورة البقرة ، من كنزٍ تحت العرش ، لم يُعْطها نبي قبلي »[١]. واللهِ لو كانت من تحت العرش لكَفَتْ ، فكيف إذا كانت من كنز **!**

ولذا يقول ﷺ : « اقرءوا هاتين الآيتين اللَّتَيْن في آخر سورة البقرة ؛ فإن ربي أَعطانيهما من تحت العَرْش »[٢].

وعن ابن عباس قال : « بينما جبريلُ عليه السلام جالسٌ عند النبي ﷺ إذ سَمع نقيضًا من فوقه ، فرفع رأسه إلى السماء ، فقال : إن هذا الباب **من السَّماء قد فُتِحَ ، ما فُتِحَ قط ، قال : فنزل منه مَلَك ، قال : فإنَّ هذا الملك قد نَزَلَ ، مَا نَزَلَ إلى الأرض ، قال :** فجاء المَلَكُ إلى رسول الله ﷺ فسلم عليه وقال : يا محمد ، أَبْشِر بنورَيْن أُوتيتَهما ، لم يُؤْتهن نبي قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لم تَقْرأْ حرفًا منهما إلَّا أوتيته »[٣].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يكرر الفاتحة حتى شروق الشمس بعد أذكار الصباح ، كما قال الحافظ عمر البزار .

وقال ﷺ : « إنَّ سورةً من القرآن ثلاثون آية ، شفعت لرجلٍ حتى غُفِرَ له ، وهي ﴿ **تَبَارَكَ الذي بِيدِهِ المُلْك** ﴾ »[٤].

---

(١) صحيح : رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن حذيفة ، وأحمد عن أبي ذرٍّ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٠٦٠ .

(٢) صحيح : رواه أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١١٧٢ .

(٣) رواه مسلم والنسائيُ والطبراني في الكبير ، وابن أبي شيبة في المصنف ، والحاكم في المنتدرك .

(٤) حسن : رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة ، وابن حبان والحاكم عن =

وقال ﷺ : « اقرءوا القرآن ؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه . اقرءوا الزَّهْرَاوَيْنِ : البقرة وآل عمران ، فإنهما تأْتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غَيَايَتان ، أو كأنَّهما فِرْقَانِ من طَيْرٍ صوافَّ ، يحاجَّان عن أصحابهما . اقرءوا سورة البقرة ؛ فإن أخذها بركة ، وتركها حَسْرة ، ولا تستطيعها البطلة »[١].

وقال ﷺ : « ﴿ **قُلْ هُو اللهُ أَحَدٌ** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و﴿ **قل يَاأَيُّهَا الكافرون** ﴾ تعدل ربع القرآن »[٢]. وعالي الهمة لا يفوته العمل بهذا الحديث .

وقال ﷺ : « لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة ، لَهِيَ أَحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** ﴾ »[٣].

وقال ﷺ : « ما أَنْزَلَ الله في التوراة ولا في الإنجيل ، مثلَ أُمِّ القرآن ، وهي السَّبْعِ المثاني ، قال الله تعالى : وهي مَقْسُومةٌ بيني وبين عبدي ، ولِعَبْدِي ما سَأَل »[٤].

وقال ﷺ : « من أخذ السَّبْعَ فهو حَبْرٌ »[٥].وفي رواية : « فهو خيرٌ » .

= أبي هريرة ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٠٩١ .

(١) رواه مسلم وأحمد عن أبي أُمَامة .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٤٠٥ .

(٣) رواه البخاري وأحمد والترمذي عن عمر .

(٤) صحيح : رواه الترمذي والنسائي عن أُبيٍّ ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٥٦٠ .

(٥) حسن : رواه الحاكم والبيهقي عن عائشة ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٩٧٩ .

وفي الحديث عن أنس :.... وكان الرَّجل إذا قرأَ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا ؛ يعني عَظُمَ . وفي رواية : يُعَدُّ فينا عظيمًا . وفي أخرى : عُدّ فينَا ذا شأنٍ[1].

وقال رسول الله ﷺ : « من قَرَأَ سورة الكَهْفِ ، يوم الجمعة ، أضاءَ له من النورِ ما بين الجُمْعَتين »[2].

وقال ﷺ : « من قرأ سُورة الكهف ، يوم الجمعة ، أضاءَ له النورُ ما بينه وبين البيت العتيق »[3].

وقال ﷺ : « من قرأ ﴿ **قُلْ هُو اللهُ أَحد** ﴾ عَشْر مرَّاتٍ بنى اللهُ له بيتًا في الجنة »[4].

وهذه الأحاديث التي سُقْناها يَحْرص عليها الرِّجَال الذين سَبَقت لهم من ربِّهم الحسنى ، وعظَّموا ما عظَّمه الله عز وجل .

* * *

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد وابن عدي وابن حبان والطحاوي في مشكل الآثار ، وابن أبي شيبة .

(٢) صحيح : رواه الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٤٧٠ .

(٣) صحيح : رواه البيهقي عن أبي سعيد ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٤٧١ .

(٤) صحيح : رواه أحمد عن معاذ بن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٤٧٢ .

□ في كَمْ يُقْرَأُ القُرْآن □

روى البخاري عن مجاهدٍ عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أنكحني أبي امرأةً ذات حَسَبٍ ، فكان يتعاهد كَنَّتَهُ[1] فيسألها عن بَعْلها فتقول : نِعْمَ الرجلُ مِنْ رجلٍ ، لم يَطأ لنا فراشًا ، ولم يُفتِّشْ لنا كَنَفًا[2] منذ أتيناه . فلما طال ذلك عليه ، ذكر للنبي ﷺ فقال : « الْقني به » فلقيته بَعْدُ ، فقال : « كيف تصوم ؟ » قلت : أصوم كلَّ يوم . قال : « وكيفَ تَخْتم ؟ » قلت : كلَّ ليلة . قال : « صُمْ في كل شهرٍ ثلاثةً ، واقرأ القرآن في كلِّ شهر » قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « صم ثلاثة أيام في الجمعة » قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « أفطر يومين وصمْ يومًا » قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « صم أفضل الصوم ؛ صوم داود ؛ صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ في كلِّ سبع ليال مرةً » فليتني قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ ، وذلك أنِّي كبرتُ وضَعُفت ، فكان يقرأ على بعض أهله السّبعَ من القرآن بالنهار ، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ؛ ليكون أخفَّ عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوَّى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهن ؛ كراهية أن يترك شيئًا فارق النبي ﷺ عليه . قال أبو عبد الله : وقال بعضهم : في ثلاثٍ أو في سبع ، وأكثرهم على سبعٍ .

قال ابن حجر : « وقال بعضهم : في ثلاثٍ أو في سبعٍ . كذا لأبي ذر ، ولغيره : « في ثلاث وفي خمسٍ » ، وفي رواية شعبة عن مغيرة بهذا الإسناد : « فما زال حتى قال : في ثلاث » .

---

(١) كَنَّته : هي زوج الولد .

(٢) الكنف : الستر .

ووقع في رواية هُشيم المذكورة : « فاقْرأْه في كل ثلاثٍ » .

وعند أبي داود والترمذي مُصحَّحًا من طريق يزيد بن عبد الله بن الشِّخير عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا : « لا يَفْقه من قرأ القرآنَ في أقل من ثلاث » وشاهده عند سعيد بن منصور بإسنادٍ صحيح ، من وجهٍ آخر ، عن ابن مسعود : « اقرءوا القرآن في سبع ، ولا تقرءوه في أقل من ثلاث » ولأبي عبيد من طريق الطيب بن سلمان عن عمرة عن عائشة : أن النبي ﷺ كان لا يختم القرآنَ في أقل من ثلاث . وهذا اختيار أحمد وأبي عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، وثبت عن كثيرٍ من السلف أنهم قرءوا القرآن في دون ذلك ، قال النووي : والاختيار أنَّ ذلك يختلفُ بالأشخاص ؛ فمن كان من أهل الهَمِّ وتدقيقِ الفكر استُحب له أن يقتصر على القدر الذي لا يختلُ به المقصود من التدبر واستخراج المعاني ، وكذا من كان له شغلٌ بالعلم أو غيره من مُهمَّات الدِّين ومصالح المسلمين العامة ، يستحبُّ له أن يقتصر منه على القدرِ الذي لا يخلُّ بما هو فيه ، ومن لم يكن كذلك فالأَوْلى له الاستكثار ما أمكنه من غيرِ خروجٍ إلى المَلَلِ ، ولا يقرؤه هَذْرمةً ، والله أعلم »[1].

وقال ابن حجر في الفتح (٨ / ٧١٦) : « وكأنَّ النهي عن الزيادةِ ليس على التَّحريم ، كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب ، وعُرِفَ ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السِّياقُ ، وهو النَّظرُ إلى عَجْزه عن سوى ذلك في الحال أو المآل ، وأَغْرَبَ بعض الظاهريةِ فقال : يَحْرُم أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث . وقال النووي : أكثر العلماءِ على أنه لا تَقْدير في ذلك ، وإنَّما هو بحسب النَّشاط والقوة ، فعلى هذا يختلف باختلاف

(١) فتح الباري ٨ / ٧١٥ .

الأحوال والأشخاص ، والله أعلم » .

وعلى الجانب الآخر ، جانب من ذهبوا للكراهة ، نَسْرُد هنا قول الحافظ الذهبي في السير ، تعليقًا على حديث عبد الله بن عمرو :

« وصحَّ أنَّ رسول الله ﷺ نَازَلَهُ إلى ثلاثِ ليال ، ونهاه أن يقرأه في أقل من ثلاث ، وهذا كان في الذي نزل من القرآن ، ثم بَعْد هذا القول نزل ما بقي من القرآن ، فأقلُّ مراتبِ النهي أنْ تُكْره تلاوةُ القرآنِ كله في أقل من ثلاث ، فما فَقِهَ ولا تدبَّر من تلا في أقل من ذلك ، ولو تلا ورتَّل في أسبوع ، ولازم ذلك لكان عملًا فاضلًا ، فالدِّينُ يُسْرٌ ، فوالله إن تَرْتيل سُبع القرآن في تهجُّد قيامِ الليل ، مع المحافظة على النوافل الراتبة ، والضُّحى وتحية المسجد ، مع الأذكار المأثورة الثَّابتة ، والقول عند النَّوم واليقظة ودُبر المكتوبة والسَّحَر ، مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مُخلصًا لله ، مع الأمر بالمعروف وإرشاد الجاهل وتفهيمه ، وزجر الفاسق ، ونحو ذلك ، مع أداء الفرائض في جماعةٍ بخشوعٍ وطمأنينةٍ وانكسار **وإيمان ، مع أداء الواجب واجتناب الكبائر ، وكثرة الدعاء والاستغفار والصَّدَقة وصلة الرحم والتواضع والإخلاص في جميع ذلك - لشغل عظيم** جَسِيم ، ولمقامُ أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين ، فإن سائر ذلك مطلوبٌ ، فمتى تشاغل العبد بختمة في كل يومٍ فقد خالف الحنيفيَّة السَّمْحة ، ولم يَنْهض بأكثر ما ذكرناه ، ولا تدبر ما يتلوه.هذا السَّيد العابد الصاحب - يعني عبد الله بن عمرو - كان يقول لمَّا شَاخ : ليتني قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ . **وكذلك قال له عليه السلام في الصوم ..**

وكلُّ من لم يَزُمّ نَفْسَه في تعبُّده وأوراده بالسنَّة النَّبوية يَنْدم ويترهَّب ويسوء مزاجه ، ويفوته خيرٌ كثير من متابعة سنة نبيِّه الرَّءوف الرَّحيم

بالمؤمنين ، الحريص على نَفْعهم ، وما زال ﷺ معلِّمًا للأمة أَفْضَل الأعمال ، وآمرًا بِهَجْر التبتل والرَّهْبانية التي لم يُبْعث بها ، فنهى عن سَرْد الصَّوم ، ونهى عن الوِصَال ، وعن قيام أكثر الليل إلا في العَشْر الأخير ، ونهى عن العُزْبة للمستطيع ، ونهى عن ترك اللَّحم ، إلى غير ذلك من الأوامر والنواهي ، فالعابدُ بلا معرفةٍ لكثيرٍ من ذلك معذورٌ مأْجور ، والعابدُ العالم بالآثار المحمدية المتجاوز لها مفضولٌ مغرورٌ ، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلَّ . أَلْهَمَنَا الله وإيَّاكم حُسْنَ المتابعة ، وجنَّبنا الهوى والمخالفة »[1].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « لم يَفقَه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث »[2].

قال العلامة ابنُ رجب الحنبلي : « وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك ، فأمَّا في الأوقات المفضَّلة كمكَّة لمن دخلها من غير أهلها ، فيُستحب الإكثارُ فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان ، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة ، وعليه يدلُّ عمل غيرهم كما سبق ذكره »[3]. وكان قد أورد خَتمَ الشافعي للقرآن ستين مرةً في شهر رمضان ، وختم قتادة للقرآن مرةً كل يوم في العَشْر الأَخير ، وختم أبي حنيفة للقرآن في ليلةٍ .

وعن عبد الله بن مسعود قال : من قَرَأَ القرآنَ في أقل من ثلاث فهو

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ٨٤ - ٨٦ .
(٢) حديث حسن صحيح . رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .
(٣) لطائف المعارف لابن رجب صـ ١٩١ - ١٩٢ ، مؤسسة الرَّيَّان ، ودار ابن حزم .

رَاجِزٌ . وزاد في رواية أبي إسحاق : هذًّا كهذِّ الشِّعْر ، ونثرًا كنثرِ الدّقل[١] .

وعن ابن وهبٍ قال : قيل لمالك : الرَّجلِ المُحْصر يَخْتم القرآن في ليلة ؟ قال : ما أجودَ ذلك ، إن القرآن إمامٌ لكلِّ خير . قال مالك : ولقد أخبرني من كان يصلي إلى جنب عمر بن حُسين في رمضان قال : كنتُ أسمعه يستفتح القرآن في كل ليلة[٢] .

قال الإمام النَّووي رحمه الله : « ينبغي لحامل القرآن أن يحافظ على تلاوته ويكثر منه ، ليلًا ونهارًا ، سفرًا وحَضَرًا ، وقد كانت للسَّلفِ رضي الله عنهم عادات مختلفة فيما يختمون فيه القرآن :

فكان جماعةٌ منهم يختمون في كل شهريْن ختمة ، وآخرون في كل شهرٍ ختمة ، وآخرون في كل عشرِ ليال ختمة ، وآخرون في كل ثمانِ ليال ختمة ، وآخرون في كل سبعِ ليال ختمة ، وهذا فعل الأكْثرين من السَّلف . وآخرون في كل ستِّ ليال ، وآخرون في كل خمس ليالٍ ، وآخرون في كل أرْبع ليال ، وكثيرون في كلِّ ثلاث ليال ، وكان كثيرون يختمون في كل يومٍ وليلة ختمة ، وختم جماعةٌ في كل يوم وليلة ختمتين ، وآخرون في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وختم بعضهم في

---

(١) إسناده لا بأس به : أخرجه عبد الرزاق والطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب .

(٢) إسناده رجاله ثقات ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥ / ١٤٧ ، ويعقوب الفسوي في المعرفة ١ / ٦٦٥ . والرَّجل المُحْصر ؛ إما محصر بالمهملتين ، من أحصره المرضُ إذا منعه من السَّفر ، أو من حاجةٍ يريدها . أو من أُحصر الرجل ببول أو بغائط ، إذا أمسك عنه . ويجوز أن يكون المُحتَضَر بالضَّاد المعجمةِ ؛ من حَضَرَه الهمُّ واحتضره وتحضره .
وعمر بن حسين المذكور في الخبر هو عمر بن حُسَين بن عبد الله الجُمحي ، أبو قدامة المكي ، من رجال مسلم .

اليوم والليلة ثماني ختمات ؛ أربعًا في الليل وأربعًا في النهار ، وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم والليلة .

وممن خَتَمَ أربعًا في الليل وأربعًا في النهار : السيد الجليل ابن الكاتب الصوفي رضي الله عنه ، وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم والليلة . وروى السيد الجليل أحمد الدَّوْرَقي بإسناده عن منصور بن زاذان ، من عبّاد التابعين ، رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن ما بين الظهر والعصر ، ويختمه أيضًا فيما بين المغرب والعشاء ، ويختمه فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين وشيئًا ، وكانوا يؤخِّرون العشاء من رمضان إلى أن يمضي ربعُ الليل . وروى ابن أبي داود بإسناده الصحيح أن مجاهدًا رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء .

وأما الذين ختموا القرآن في ركعةٍ أو في يوم وليلة فلا يُحصَون لكثرتهم ؛ فمنهم : عثمان بن عفان ، وتميم الدَّاري ، وسعيد بن جبير ، ختموا القرآن في ركعة في الكعبة .

ومنهم : مجاهد والشافعي وآخرون ، ختموا القرآن في يوم وليلة .

وعن منصور قال : كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء في كل ليلة من رمضان . وعن إبراهيم بن سعد قال : كان أبي يَحْتبي فما يحلُّ حَبْوته حتى يختم القرآن .

ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات : سليم بن عِتْر رضي الله عنه ، قاضي مصر في خلافة معاوية رضي الله عنه . وروى ابن أبي داود أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات . وروى أبو عُمر الكندي في كتابه « **قضاة مصر** » أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات .

وأما الذين خَتَموا القرآن في أسبوعٍ فكثيرون ؛ نُقل عن عثمان بن

عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهم ، وعن جماعة من التابعين ؛ كعبد الرحمٰن بن يزيد ، وعلقمة ، وإبراهيم ، رحمهم الله تعالى .

والمُختارُ أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص : فمن كان يَظْهر له بدقيقِ الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصرْ على قدرٍ يحصل له معه كمال فهم ما **يقرؤه** .

وكذا من كان مشغولًا بِنَشْر العلم أو فَصْل الحكومات بين المسلمين ، أو غيره من مُهمَّات الدين والمصالح العامة للمسلمين ، فليقتصرْ على قدرٍ لا يَحْصُل بسببه إخلالٌ بما هو مُرْصَدٌ له ولا فوْت كماله .

وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر منه ما أمكنه ، من غير خروجٍ إلى حدِّ المَلَلِ والهَذْرَمة في **القراءة** »[1] .

قال ابن حجر في فتح الباري (٨ / ٧١٣) : « قوله : باب في كم يقرأ القرآن ؟ وقول الله تعالى : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ كأنَّه أشار إلى الردِّ على من قال : أقلُّ ما يُجزئ من القراءة في كل يوم وليلة جزءٌ من أربعين جزءًا من القرآن ، وهو منقولٌ عن إسحاق بن راهويه والحنابلة ؛ لأن عموم قوله : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ يشمل أقلّ من ذلك ، فمن ادَّعى التحديد فعليه البيان . وقد أخرج أبو داود من وجهٍ آخر عن عبد الله بن **عمرو : في كم يقرأ القرآن ؟ قال : في أربعين يومًا . ثم قال : « في شهر ... »** الحديث ، ولا دلالة فيه على المدَّعىٰ » .

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي صـ ١١ - ١٢ ، والأذكار للنووي صـ ٩٥ - ٩٦ .

« فإنْ قلتَ : بعضُ المجاهَدات مما لا يُعْقَل وقوعها ، كثمانِ ختمات في يوم وليلة ، وكأداء ألف ركعةٍ في ليلة ونحو ذلك ؟!

قلتُ : وقوعُ مثل هذا ، وإن استُبْعد من العَوام ، لكن لا يُستبعَدُ ذلك من أهل الله تعالى ؛ فإنهم أُعطوا من ربهم قوةً مَلكيَّة ، وصلوا بها إلى هذه الصفات ، لا يُنكره إلا مَنْ يُنكر صدور الكراماتِ وخوارق العادات .

وإنَّ الذَّاكرين لهذه المناقب ليسوا ممن لا يُعتمد عليه ، أو ممن لا يكون حُجَّة في النَّقل ، بل هم أئمةُ الإسلام وعُمدُ الأنام ، الذين يُرجع إلى أقوالهم في المهمات ، وتُجعل أخبارهم من القَطعيَّات ؛ كأبي نُعيم وابن كثير والسَّمْعاني وابن حجر المكي وابن حجر العَسْقلاني والسيوطي وعلي القاري وشمس الأئمة الكردري والنووي وشيخ الإسلام الذهبي ومن يحذو حذوهم .

أَفَترى هؤلاء قد اعتمدوا على نقل ما ينقله أرباب الكذب ؟! كَلَّا والله ، هم أئمة محتاطون ، لا يُنَاقَشون فيما يكتبون ، فإن شككتَ في ذلك فارجع إلى الطبقات ينكشف لك أحوال صدقِ هؤلاء الثقات .

وإن اعتُبر مثل هذا الشَّك،ارتفع الأمان عن كتب التواريخ وأسماء الرجال ، فإنهم غالبًا يكتبون ما يكتبون في تراجم العلماء بغير سندٍ مسلسل ، بل بالاختصار والإرسال ، فإن شكَّ في ذلك شاكٌّ عُلم قطعًا أنه متعصب ، خارجٌ عن حدِّ الخطاب ، لا يليق معه إلا الزَّجْر والعتاب »[1] .

* * *

(١) إقامة الحجة على أنَّ الإكثار في التَّعبد ليس ببدعة ، لأبي الحسنات اللكنوي ، صـ ١٠١ - ١٠٣ .

□ آدَابُ التِّــلاوَة □

ومن علو الهمة في التلاوة ، مراعاة آدابها الظاهرة والباطنة :

ومن الآداب الظاهرة :

استحباب الوضوء ، واستقبال القبلة ، والتَّرتيل ، والبكاء ، قال تعالى : ﴿ **ويخرُّون للأَذْقان يَبْكُونَ ويَزِيدُهُم خُشُوعًا** ﴾ [الإسراء : ١٠٩] ، ومراعاة حقِّ الآيات ؛ فإذا مرَّ بآيةِ سجدةٍ سجد ، والتَّعَوذ في مبتدأ قراءته ، وتحسين القراءة ؛ قال ﷺ : « ما أذِنَ الله لشيءٍ ما أَذن لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن » متفق عليه من حديث أبي هريرة ، وزاد مسلم : « لنبيٍّ حسن الصوت » ، وفي رواية له : « كإذنه لنبي يتغنَّى بالقرآن » .

وقوله ﷺ : « ليس مِنَّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن »[١].

وقوله ﷺ : « أَحْسَنُ الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيتَ أنه يخشى الله »[٢].

وقوله ﷺ : « إن من أحسن النَّاس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيتَ أنه يخشى الله »[٣].

أما الآداب الباطنة فهي عَشْرة :

(١) فَهْم أصلِ الكلام . (٢) التَّعْظيم .

(٣) حُضُور القلب . (٤) التَّدبُّر .

(٥) التَّفهم . (٦) التَّخلي عن موانع الفهم .

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة ، وأحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم عن عائشة .

(٢) صحيح : رواه محمد بن نصر في الصلاة ، والبيهقي في شعب الإيمان والخطيب عن ابن عباس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٤) .

(٣) صحيح : رواه ابن ماجه عن جابر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٢٠٢) .

(٧) التَّخْصيص . (٨) التَّأثر .
(٩) التَّرقي . (١٠) التَّبرُّؤ .

فالأول : فهم أصل الكلام :

فهم عظمة الكلام وعلوّه ، وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه ، وإفهامه كلامه لهم ، وتيسير القرآن للذكر ، ولولا لُطْفُ الله بعباده لَمَا ثبت لسماع الكلام ، وهو من صفاته ، عرشٌ ولا ثرًى ، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه ، ولولا تثبيت الله لموسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه ، كما لم يُطق الجبل مبادي تجلّيه ، حيث صار دَكًّا .

والثاني : التَّعْظيم للمتكلِّم :

فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يُحْضر في قلبه عظمة المتكلم ، ويَعْلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر ، وأنَّ في تلاوة كلام الله غاية الخطر ﴿ **لا يَمَسُّه إِلَّا المُطَهَّرُونَ** ﴾ [الواقعة : ٧٩] ، وكما أنَّ ظاهر جِلْدِ المصحف وورَقه محروسٌ عن ظاهر بَشَرة اللّامس إلا إذا كان متطهِّرًا ، فباطنُ معناه أيضًا بحُكْم عِزِّه وجلاله محجوبٌ عن باطن القلب إلا إذا كان متطهِّرًا عن كلِّ رجسٍ ، ومستنيرًا بنورِ التعظيم والتوقير ، وكما لا يصلح لمسِّ جلدِ المصحف كلُّ يدٍ ، فلا يصلح لِنَيْل معانيه كلُّ قلب ، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف وضعه على وجهه وقال : كتاب ربي ، كتاب ربي .

فتعظيم الكلام تعظيمُ المتكلم ، ولن تحضره عظمةُ المتكلم ما لم يتفكَّر في صفاته وجلاله وأفعاله ، فبالتفكُّر في جلاله وصفاته وأفعاله يَحْضر تعظيمُ المتكلم ثم تعظيم الكلام .

قال مالك بن دينار : إن الصِّدِّيقين إذا تُليت عليهم آياتُ الرحمٰن

طربت قلوبهم واشتاقت إلى ما عنده ، ثم يقول : « اسمعوا إلى ما يقول الصَّادق من فوق عرشه » ثم يبدأ في التلاوة .

الثالث : حُضُور القلب وتَرْك حديث النَّفْس :

قيل لبعْضهم : إذا قرأتَ القرآن تحدِّث نفسك بشيءٍ ؟ فقال : أَوَ شيء أحبُّ إليَّ من القرآن حتى أحدِّثَ به نفسي ؟! وكان بعض السَّلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية .

وهذه الصفة تتولَّد عمَّا قبلها من التعظيم ؛ فإن المعظِّم للكلام الذي يتلوه ويَسْتَبْشِر به ويستأنس ، لا يغفل عنه ؛ ففي القرآن ما يَسْتأنس به القلب ، إن كان التالي أهلًا له ، فكيف يطلب الأُنس بالفِكْر في غيره وهو في مُتَنَزَّه ومتفرَّج ، والذي يتفرَّج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ؟ قال الفُضيل بن عياض : كفى بالله مُحبًّا ، وبالقرآن مؤنسًا ، وبالموت واعظًا ، اتَّخذِ الله صاحبًا ، وَدَعِ الناس جانبًا .

وقال : من لم يَسْتأنس بالقرآن فلا أَنَس اللهُ وحشته .

وقيل لذي النّون : ما الأُنْس بالله ؟ قال : العلم والقرآن .

وَلَقَدْ جعلتُكَ في الفُؤادِ مُحدِّثي وأَبحتُ جسْمي مَنْ أَرادَ جُلوسي
فَالجِسْـمُ منِّي للجَلِيسِ مُؤانسٌ وحبيبُ قَلبي في الفؤادِ أَنِيسي

وقال محمد بن واسع : القرآنُ بستانُ العارفين ، فأينما حلّوا منه حلّوا في رياضٍ نضرة .

وكم في القرآن من ميادينَ وبساتين ومقاصير وعرائس وَدَيَابيج ورياضٍ وخاناتٍ ، فإذا دخل القارئ الميادين ، وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الدَّيابيج ، وتَنَزَّه في الرياض ، وسكن غرف الخانات –

استغرقه ذلك ، وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ، ولم يتفرَّق فكره .

الرابع : التَّدبُّر :

وهو وراء حضور القلب ؛ فإنه قد لا يتفكَّر في غير القرآن ، ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره .

وقد قام رسول الله ﷺ بآية يردِّدُها : ﴿ **إن تُعذِّبْهمْ فإنَّهم عِبَادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُم فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾ [المائدة : ١١٨] .

وقام تميم الداري ليلةً بهذه الآية : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سواءً مَحْيَاهُمْ ومَمَاتُهم سَاءَ مَا يَحْكُمونَ** ﴾ [الجاثية : ٢١] .

وقام سعيد بن جبير ليلة يردِّد هذه الآية : ﴿ **وامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المُجْرِمُونَ** ﴾ [يس : ٥٩] .

ومحمد بن المنكدر يسأله أبو حازم عن البكاء طيلةَ ليلهِ ، فيقول : آيةٌ من كتاب الله أبكتني : ﴿ **وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكونُوا يَحْتَسِبون** ﴾ [الزمر : ٤٧] .

وقال بعضهم : إني لأفتتح السُّورة فيوقفني بعضُ ما أَشْهَد فيها عن الفَرَاغ منها حتى يطلع الفجر .

وكان بعضهم يقول : آيةٌ لا أتفهَّمُهَا ، ولا يكون قلبي فيها ، لا أعدُّ لها ثوابًا .

ويقول أبو سليمان الدَّاراني : إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليالٍ أو خمس ليال ، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها .

قال تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَم عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] .

الخامس : التَّفهم :

قال أبو تراب النخشبي :

وَمِنَ الدَّلَائِل أَنْ يُرَىٰ مُتَفَهِّمًا لكلامِ مَنْ يَحْظَىٰ لَدَيْهِ السَّائِلُ[1]

فيستوضح من كل آيةٍ ما يليق بها ؛ إذ القرآن يشتمل على ذِكْرِ صفات الله عز وجل ، وذكر أفعاله ، وذكر أحوال الأنبياء ، وذكر أحوال المُكذِّبين ، وَذِكْرِ الأوامر والزَّواجر ، وذكر الجنة والنار .

ومن أراد علم الأَوَّلين والآخرين فليثَوِّر القرآن . وأعظمُ علوم القرآن تَحْتَ أسماء الله عز وجل وصفاته ؛ إذْ لم يدرك أكثرُ الخلقِ منها إلَّا أمورًا لائقةً بأفهامهم ، ولم يَعْثروا على أغْوارها .

السادس : التخلِّي عن مَوانع الفَهْم :

فإن أكثر الناس مُنِعوا عن فهمِ معاني القرآن ؛ لأسباب وحُجُبٍ أَسْدَلَهَا الشيطانُ على قلوبهم ، فعميت عليهم عجائبُ أسرارِ القرآن .

وحُجُب الفَهْم ثلاثة :

أولها : أن يكون الهَمُّ منصرفًا إلى تحقيق الحروف فقط ، فأنَّى تنْكشف له المعاني .

ثانيها : أن يكون مقلِّدًا لمذهبٍ سمعه بالتقليد .

ثالثها : أنْ يكون مُصِرًّا على ذنبٍ أو متّصفًا بكبْرٍ أو مبتلى بهوًى في

(١) صفة الصفوة ٤ / ١٧٢ .

الدنيا مطاع ، فيُحْرم بركة الانتفاع بالوحي وفهم القرآن ، فالإنابة شرطٌ في الفهم والتذكير ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ** ﴾ [غافر : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ **تبصرةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ** ﴾ [ق : ٨] .

السابع : التَّخْصيص :

وهو أن يُقَدِّرْ أنه المقصود بكلِّ خطاب في القرآن ، فإنْ سمع أمرًا أو نهيًا قدَّر أنه المنهِيُّ والمأمور ، وإنْ سمع وَعْدًا أو وعيدًا فكمثل ذلك ، وإن سمع قَصَصَ الأوَّلين علم أن السَّمر غير مقصودٍ وإنما الاعتبار ، فهذا القارئ الواحد مقصود ، فما له ولسائر الناس فليقدِّر أنه المقصود .

قال محمد بن كعب القرظي : من بَلَغَه القرآنُ فكأنَّما كلَّمه الله .

قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائلُ أتتنا من قِبَلِ ربِّنا عز وجل بعهوده ، نتدبَّرها في الصلوات ، ونقفُ عليها في الخَلَوات ، ونُنفِّذُهَا في الطاعات والسنن المتَّبعات .

وكان مالك بن دينار يقول : يا أصحاب السورة ، ويا أصحاب السورتين ، يا حملة القرآن ، ماذا غَرَسَ القرآنُ في قلوبكم ؛ إن القرآن ربيع **قلب المؤمن ، كما أنَّ الغَيْثَ ربيعُ الأرض ، إن الغيث قد ينزل على الحَبَّة في** الحُشِّ ما يمنعه نَتَن موضعها من أن تثمر ، فماذا غرس القرآن في قلوبكم .

وقال قتادة : لم يجالس أحدٌ هذا القرآن إلا قام بزيادةٍ أو نقصان ، قال تعالى : ﴿ **هو شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

الثامن : التَّأثُّر :

وهو أن يتأثَّر قلبه بآثارٍ مختلفة بحسب اختلافِ الآيات ، فيكون له بحسب كلِّ فهم حالٌ ووَجْد يتَّصف به قلبه من الخوف والرجاء .

قال الحسن : والله ما أَصْبَحَ اليوم عبدٌ يتلو القرآن يؤمن به إلا كَثُرَ حُزْنُه ، وقَلَّ فرحه ، وكثر بكاؤه ، وقَلَّ ضحكه ، وكثر نصبه وشغله ، وقَلَّت راحته وبطالته .

وقال طبيب القلوب وهيب بن الورد : نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئًا أرقَّ للقلوب ، ولا أشدَّ استجلابًا للحزن من قراءة القرآن وتفهُّمِه وتدبُّره . فرحم الله أقوامًا كانوا إذا مَرُّوا بآية فيها ذِكْرٌ للنار فكأنَّ زَفِيرها في آذانهم .

مَنَعَ القُرَانُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ... مُقَلَ العُيونِ بِلَيْلِهَا لَا تَهْجَعُ
فَهِمُوا عن المَلِكِ الجَلِيلِ كَلَامَه ... فَهْمًا تَذِلُّ له الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ

وإذا مَرُّوا بآية فيها ذِكْرٌ للجنَّة فكأنَّهم فيها مُنعَّمين ، وطربتْ قلوبُهم لنعيمها ، وَتَنْبعث بواطنُهم شوقًا إليها . ومن الصالحين مَنْ مات من سماعِ آياتِ العذاب ؛ كعليِّ بن الفُضيل وزرارة بن أبي أوفى ، وغيرهما كثير .

قال ابن أبي الحواري : إني لأعجب لقُرَّاء القرآن ، كيف يُهنِّيهم النوم ومعهم القرآن ، أما والله لو علموا ما حَمَلوا لطار عنهم النوم فرحًا بما رزقوا . وسُئل : رجلٌ ينامُ ومعه القرآن ؟ قال : ذاك رجل يتوسَّد القرآن .

ومن لا يتأثر بالقرآن يكون له نصيبٌ من هذه الآية : ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ** ﴾ [البقرة : ٧٨] ؛ أي تلاوةً مجرَّدة . أمَّا أهلُ العلم بالله فَهُمُ الَّذِينَ قال الله فيهم : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَه حَقَّ تلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ...** ﴾ [البقرة : ١٢١] .

فتلاوة القرآن حَقّ تلاوتِهِ هو أن يَشْتَرِك فيه اللِّسان والعقل والقلب ، فحظُّ اللسان تصحيح الحروف ، وحظُّ العقل تفسير المعاني ، وحظُّ القلب

الاتِّعاظ والتأثر بالانْزِجَار والائتِمَار ، فاللسان يُرتِّل ، والعقل يترجمُ ، والقلب يتَّعظ .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهم لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْل فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُم فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَـٰذَا القُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر : ٢١] .

التاسع : التَّرقِّيْ :

والمرادُ به أن يترقَّى ؛ حتى كأنَّه يَسْمعه من ربِّه لا من نفسه ، فدرجات القراءة ثلاث :

أدناها : أن يُقدِّر العبدُ كأنَّه يَقْرؤه على الله عز وجل ، واقفًا بين يَدَيْه ، وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكونُ حالُه عند هذا التقدير السؤالَ والتملُّق والتَّضرُّع والابتهال .

الثانية : أَنْ يَشْهَد بِقَلْبه كأنَّ الله عز وجل يراه ويخاطبه بأَلْطافه ، ويناجيه بإِنْعامه وإحسانه ، فمقامه مقامُ الحياء والتَّعظيم والإصغاء والفَهْم .

والثالثة : أن يَرَىٰ في الكَلام المُتكلِّمَ وفي الكلماتِ الصِّفات ، فيكون مقصورَ الهمِّ على المتكلم ، فهذه درجة المقرَّبين .

وقد قال كعب : عَلَيْكُمْ بالقرآن ؛ فإنه فَهْم العقل ، ونُور الحكمة ، وأَحْدَثُ الكتب بالرحمٰن ، لقد كان رسول الله ﷺ يتلقَّى المطرَ بِثَوْبه ، ولَمَّا يُسأل عن ذلك يقول : « إنه حَديثُ عهدٍ بربه » فما ظَنُّكم بالقرآن ...

فليست كل التلاوة واحدة ، وإلَّا فما معنى قول رسول الله ﷺ : « من أحبَّ أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنزل فليقرأ على قراءةِ ابن أمِّ عبدٍ »[١].

يعني عبد الله بن مسعود .

قال بعض الحكماء : كنت أَقرأُ القرآن فلا أَجد له حلاوةً ، حتى تلوتُه كأني أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه ، ثم رُفعتُ إلى مقامٍ فوقه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يُلقيه على رسول الله ﷺ ، ثم جاء اللهُ بمنزلةٍ أخرى كأني أسمعه من المتكلِّم به ، فعندها وجدتُ له لذَّةً ونعيمًا لا أصبر عليه .

قال عثمان بن عفان : لو طَهُرَتْ قلوبُكم ما شَبِعْتم من كلام ربِّكم .

وقال ثابت البناني : كابدتُ القرآن عشرين سنةً ، وتنعَّمْتُ به عشرين سنة .

العاشر : التَّبرُّؤ :

فيتبرّأ مِنْ حَولِهِ وقوَّته والالتفات إلى نفسه بعينِ الرِّضا والتَّزكية ، فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نَفْسَه عند ذلك ، بل يَشْهَد المُوقنين والمُصدِّقين ، ويتشوَّف إلى أن يُلْحقه اللهُ عزَّ وجلَّ بهم ، وإذا تلا آيات المَقْت وذمِّ العصاة والمقصِّرين شهد على نفسه هناك ، وَقَدَّرَ أنه المُخاطَب خوفًا وإشفاقًا .

قيل ليوسف بن أسباط : إذا قرأتَ القرآن بماذا تدعو ؟ قال : بماذا أدعو ! أستغفر اللهَ من تَقْصِيري سبعين مرة ، وكان يقول : اللهم لا تَمْقُتْنَا .

---

(١) صحيح : رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي بكر وعمر ، ورواه البخاري في التاريخ عنهما ، وابن سعد عن ابن مسعود والحاكم عن عمار ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩٦١) .

قال ﷺ : « مَنْ قَرَأَ بمائة آيةٍ في ليلة كُتب له قنوت ليلة »[١].

قال أبو سليمان الدَّاراني : ربما أقمتُ في الآية الواحدة خمسَ ليالٍ ، ولولا أني أدعُ الفِكْرَ فيها ما جُزْتها أبدًا ، ولربَّما جاءتِ الآية من القرآن فيطيرُ العقلُ ، فسبحان الذي يَردُّه[٢].

وقال ﷺ : « إذا قام صاحبُ القرآنِ فقرأه بالليل والنهار ذَكَره ، وإن لم يقمْ به نسيه »[٣].

قال زهير البابي : « إن لله عبادًا ذكروه ، فخرجت نفوسهم إعظامًا واشتياقًا ، وقومٌ ذكروه فوجلت قلوبهم فَرَقًا وهيبةً ، وآخرون ذكروه في الشِّتاء فارفضُّوا عرقًا من خوفه ، وقوم ذكروه فحالت ألوانُهم غَبْرًا ، وقوم ذكروه فجفتْ أعينُهم سَهَرًا » ... يَتْلُون كتاب الله بشفاهٍ ذابلة ، ودموع وابلة ، وَزَفَرات قاتلة ، وأجسام نَاحلة ، وخواطر في عظمتهِ جائلة .

عَمِيَ أحدُ العُبَّاد ؛ فكان إذا قرأ في المُصْحف عاد إليه بَصَرُهُ .

قال مالك بن دينار : ما تنعَّمَ المتنعِّمونَ بمثل ذِكْرِ الله .

نعم .. إذا سَئِمَ البَطَّالون من بطالتهم فَلَن يَسْأَم مُحِبُّوك من ذكرك ومناجاتك ... وأهلُ الليل والذِّكر في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو بِلَهْوهم .

---

(١) صحيح : رواه أحمد والنسائي عن تميم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤٦٨) .

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤ / ٢٣٢ .

(٣) صحيح : أخرجه ابن نصر في قيام الليل عن ابن عمر ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٥٩٧ .

وهاك نعيمهم وهذه جَنَّتهم وبَساتينهم ، نبدأ بسيِّدهم وإمامهم ﷺ :

○ رسول الله ﷺ سَيِّدُ الذَّاكِرين ○

قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يَذكر الله تعالى على كل أَحْيانه . رواه مسلم .

« ولم تَسْتَثْنِ حالةً من حالةٍ ، وهذا يدلُّ على أنه كان يذكر ربَّه – تعالى – في حال طهارته وجنابته .

وأما حال التَّخلِّي ، فلم يكن يشاهده أحدٌ يُحكَى عنه ، ولكن شَرَع لأمَّتِهِ من الأذكار قبل التخلِّي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذِّكر ، وأنه لا يخلُّ به عند قضاء الحاجة وبعدها ، وكذلك شَرَعَ للأمَّة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم : « اللهم جَنِّبْنَا الشيطانَ ، وجَنِّب الشيطان ما رزقْتَنَا »[١] .

وأما عند نَفْسِ قضاء الحاجة وجِماع الأهل ، فلا ريبَ أنَّه لا يُكْرَه بالقلب ؛ لأنه لا بدّ لقلبه من ذِكرٍ ، ولا يمكنه صَرْف قلبه عن ذكرِ مَنْ هو أحبُّ شيءٍ إليه ، فلو كَلَّفَ القلبَ نسيانه ؛ لكان تكليفه بالمحال ، كما قال القائل :

يُرَادُ من القَلْبِ نِسْيَانكُمْ   وَتَأْبَى الطِّبَاعُ على النَّاقِلِ

فأما الذِّكْر باللسان على هذه الحالةِ ؛ فليس ممَّا شُرِعَ لنا ، ولا نَدَبَنا إليه رسول الله ﷺ ولا نُقِلَ عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم .

ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس .

الحالة ، وهي من أجلِّ الذكر . فَذِكْر كلِّ حالٍ بحسب ما يليق بها »[١].

أما القرآن .. فما قام أحدٌ به قيام رسولنا ﷺ .. وما تدبَّره أحدٌ تدبُّر رسولنا ﷺ .. وما بكىٰ أحدٌ من تلاوتِهِ أو استماعِهِ ما بكى سَيِّدُ الخائفين .. أما قال لابن مسعود : « اقرأْ عليَّ ، فإني أُحبُّ أن أستمعه من غيري » ... وينظر ابنُ مسعود فإذا وجه الكريم ﷺ قد بلَّلَتْه الدموع .

وَفِينَا رسولُ اللهِ يَتْلو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْروفٌ من الفَجْرِ سَاطِعُ

صلىٰ الله عليه وسلم قَدْرَ ما ذكره الذَّاكِرونَ .

أُبيُّ بن كَعْبٍ سَيِّد القُرَّاء :

عن أنس بن مالك قال : لما نَزَلت ﴿ **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والمُشْرِكِينَ** ... ﴾ [البيِّنة : ١] قال رسول الله ﷺ لأُبيِّ بن كعب : « إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك » قال : وذكرني ؟ قال : « نعم » فبكى أُبيّ[٢].

وفي رواية : أَوَذُكرت فيما هنالك ؟ قال النبي ﷺ : « نعم » . قال : فبكى أُبيّ[٣].

هذا والله السُّؤدد ، وهذا والله الشَّرف .

عن عبد الرحمٰن بن أَبْزى عن أُبيّ بن كعب قال : قال النبي ﷺ : « أُنزلت عليَّ سورةٌ وأردتُ أن أُقرِئَكَهَا » قلت : أَسُمِّيتُ لك ؟ قال : « نعم » . **فقلتُ لأبي : أَفَرِحْتَ بذلك يا أبا المنذر ؟ قال : وما**

---

(١) الوابل الصيب صـ ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو يعلى وأبو نُعيم وأحمد وابن سعد والبغوي في شَرْح السُّنة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه والنسائي في « فضائل القرآن » وأحمد .

يمنعني ، واللهُ تعالى يقول : ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** ... ﴾[(١)] الآية [يونس : ٥٨] .

وَصَحَّ من طرقٍ عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « أَرْحَمُ أمتي أبو بكر ... وأقرؤهم أبيّ ... »[(٢)] .

قال الذهبي في « معرفة القُراء الكبار » : أُبيٌّ بن كعب أَقْرَأُ من أبي بكر ومن عمر .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول : « استقرئوا القرآنَ من أربعة : عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حُذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأُبيّ بن كعب »[(٣)] .

وعن أبي قلابة عن أبي المهلب قال : كان أبيّ يختم القرآنَ في ثمانٍ . قال الذهبي : إسناده صحيح .

وقال له النبي ﷺ : « لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبا المُنْذر » .

وقال عمر رضي الله عنه يوم موت أبيّ : اليوم مات سَيِّد المُسْلمين .

ذو النُّورَيْن عُثْمان بن عَفَّان :

« قال عبد الرحمٰن التَّيمي : لأَغْلبنَّ الليلةَ على المقام ، قال : فلما صلَّيتُ العَتَمَة تخلَّصتُ إلى المقام حتى قُمتُ فيه ، فبينا أنا قائم إذا رجل وضع

---

(١) إسناده حسن : رواه أحمد والبيهقي في « الشعب » والبخاري في « خلق أفعال العباد » وابن أبي شيبة في المصنَّف ، وأبو نعيم في « الحِلْية » .

(٢) صحيح : رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد والبغوي ، وصحَّحه ابن حبان والحاكم والطحاوي في المُشْكل ، وأبو نعيم والطيالسي وابن سعد .

(٣) رواه البخاري والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وأبو نُعيم .

يده بين كَتِفيَّ ، فإذا هو عثمان بن عفان فبدأ بأمِّ القرآن ، فقرأ حتى ختم القرآن فركع وسجد ، ثم أخذ نَعْليه ، فلا أدري أصلَّى قبل ذلك شيئًا أمْ لا »[١].

« كان رضي الله عنه يقرأ القرآن في ركعةٍ ، ثم يُوتر بها »[٢].

وعن ابن سيرين قال : قالت امرأة عثمان حين قُتل : لَقَدْ قتلتموه ، وإنه ليُحْيي الليلَ كلَّه بالقرآن في ركعة[٣].

قال الحافظ ابن كثير : « وقد رُوي من غَيْر وجهٍ أنه صلَّى بالقرآن العظيم في ركعة واحدةٍ عند الحَجَر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه ، ولهذا رَوَيْنا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى : ﴿ **أمَّنْ هو قَانِتٌ آناءَ الليلِ سَاجِدًا وقَائمًا يَحْذَرُ الآخرة وَيَرْجُو رحمةَ ربِّه** ﴾ [الزمر : ٩] قال : هو عثمان بن عفان » .

وقال فيه حسان بن ثابت :

ضحَّوْا بأشْمطَ عُنْوانُ السُّجود به   يُقَطِّعُ الليلَ تَسْبِيحًا وقُرآنا

قال النووي في « التبيان » (٥٥) : « فَمِنِ الَّذين كانوا يختمون الختمة في اليوم والليلة : عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتَميم الداريّ ، وسعيد ابن جبير ، ومجاهد ، والشَّافعي ، وآخرون » .

---

(١) الحلية ١ / ١٥٦ .

(٢) إسناده صحيح : أخرجه الطحاوي والبيهقي ٣ / ٢٥ ، وابن أبي داود ، وصحَّح إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط ، والشيخ زهير الشاويش في تحقيق شرح السنة ٤ / ٤٩٩ .

(٣) الزُّهد صـ ١٢٧ لأحمد بن حنبل .

وقال أيضًا في « التبيان » (٥٧) : « وأمَّا الذين خَتَموا القرآن في ركعة فلا يُحصَون لكثرتهم ؛ فمن المتقدِّمين : عثمان بن عفان ، وتميم الداريّ ، وسعيد بن جبير رضي الله عنهم ، ختمه في كلِّ ركعة في الكعبة » .

وقال النووي في « التبيان » (٥٩) : « وروى ابن أبي داود بإسناده أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يفتتح القرآنَ ليلةَ الجمعة ، ويختمه ليلة الخميس » .

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

قال عروة بن الزبير : « أولُ من جَهَر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود »[(١)].

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إلٰه غيره ، ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلَّا أنا أعلمُ أين أُنزلت ، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلَّا أنا أعلم فيمن أنزلت . ولو أعلمُ أحدًا أعلمَ منِّي بكتابِ الله تبلغه الإبلُ لركبتُ إليه .

قال عبد الله : « والذي لا إلٰه غيره ، لقد قرأتُ من فِي رسول الله ﷺ بِضْعًا وسبعين سورةً ، ولو أعلم أحدًا أعلمَ بكتاب الله مني تُبلِّغُنيه الإبلُ لأتيته »[(٢)].

وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « من أحبَّ أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنزل ، فليقرأ على قراءة ابن ....

---

(١) أخرجه ابن حَجَر في الإصابة ٦ / ٢١٥ ، ورجاله ثقات .

(٢) إسناده صحيح ، سير أعلام النبلاء ١ / ٤٧١ .

أمِّ عبدٍ »[١].

فلله دَرُّكَ يا ابن مسعود حين يُتوِّجُك رسول الله ﷺ هذه الكَرامة .

لقد كان رسول الله ﷺ يَفْرح بالمطر إذا نزل ، ويقول : « إنه حَدِيثُ عهدٍ بربِّه ... » فما الظن بكلامِ الله بقراءتك الغَضَّة !!

وعن عبد الله أن رسول الله ﷺ مرَّ بين أبي بكرٍ وعمر ، وعبد الله قائمٌ يصلِّي ، فافتتح سورة النِّساء يَسْجُلُها ، فقال ﷺ : « مَنْ أحبَّ أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنزل ، فليقرأ قراءة ابن أمِّ عبدٍ » فأخذ عبدُ الله في الدعاء ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « سَلْ تُعْطَ » فكان فيما سأل : اللهم إني أسألك إيمانًا لا يَرتدُّ ، ونعيمًا لا يَنْفد ، ومرافقة نبيِّك محمدٍ ﷺ في أعلى جِنان الخُلْد . فأتى عمرُ عبدَ الله يبشِّره ، فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه ، فقال : إنك لَسَبَّاق بالخير[٢].

وعن خَيْثمة قال : كنت جالسًا عند عبد الله بن عمرو ، فذكر ابنَ مسعود ، فقال : لا أزال أحبُّه بعد إذ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « استَقْرِئوا القرآن من أربعةٍ : من عبد الله بن مسعود - فَبَدَأَ بِهِ - وأُبَيِّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة » .

قال النووي في التبيان : « وأمَّا الذين ختموا في الأُسبوع فكثيرون : نُقل عن عثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأُبَيّ ابن كعب رضي الله عنهم » .

---

(١) صحيح : رواه أحمد وابن ماجه والحاكم في المستدرك ، ووافقه الذهبي ، وتابعه الألباني . انظر صحيح الجامع رقم ٥٩٦١ .

(٢) إسناده حسن : أخرجه أحمد ١ / ٤٤٥ ، ٤٥٤ والحاكم بنحوه . وقوله يَسْجُلُهَا : أي يقرؤها مفصَّلة .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « ينبغي لحامل القرآن أن يُعْرف بِلَيْلِهِ إذا النَّاس نائمون ، وبنهاره إذا النَّاس مُفْطِرون ، وبِحُزْنه إذا النَّاس يفرحون ، وببكائه إذا النَّاس يضحكون ، وبِصَمْته إذا النَّاس يخوضون ، وبِخُشوعه إذا النَّاس يختالون .

وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا مَحْزونًا ، حليمًا حكيمًا ، سكينًا . ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ، ولا غافلًا ، ولا صَخَّابًا ، ولا صيّاحًا ، ولا حديدًا »[(١)] .

معاذ بن جبل رضي الله عنه ، مِقْدَام العلماء ، وأعلم الأمَّة بالحَلال والحرام :

قال رسول الله ﷺ : « خُذُوا القرآنَ من أربعة : من ابن مسعود ، وأُبيٍّ ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة »[(٢)] .

وعن أنس رضي الله عنه : جَمَعَ القرآنَ على عَهد رسول الله ﷺ أربعةٌ ، كلهم من الأنصار : أبيُّ بن كعب ، وَزَيْد ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد ، أحد عمومتي[(٣)] .

وقال عمر بن الخطاب : عجزتِ النساءُ أن يَلِدْنَ مثل معاذ .

هذا العَالِمُ العابد المجاهد ، ما بكَى عند الموتِ إلَّا على مَجَالس الذِّكْر ...

ففي مرض موته قال : اخْنق خَنْقَك ، فوعزَّتِكَ إني أحبك .. اللهم إني كنتُ أخافك ، وأنا اليوم أرجوك .. اللهم إنك تعلم أني ما كنت أحبّ البقاء في الدنيا لكَرْي الأنهار ، ولا غَرْسِ الأَشْجار ، وإنما لمكابدةِ السَّاعات ،

---

(١) الفوائد لابن القيم صـ ١٩٥ .

(٢) رواه البخاري والترمذي وأبو نعيم في الحلية .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .

وَظَمأ الهَوَاجر ، ومزاحمةِ العلماء بالرُّكب عند حِلَق الذِّكْر .

وعنه رضي الله عنه قال : « ما عمل آدميٌّ عملًا أنجىٰ له من عذاب الله من ذِكْرِ الله . قالوا : يا أبا عبد الرحمـٰن ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا ، إلَّا أنْ يضرب بسيفه حتى ينقطع ؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] »[١] .

أبو الدَّرْدَاء رضي الله عنه :

عن ابن حَلْبَس : قيل لأبي الدَّرداء ، وكان لا يَفْتُر من الذكر : كم تسبِّح في كل يوم ؟ قال : مائة ألفٍ ، إلَّا أن تخطئ الأصابع[٢] .

تَمِيم الدَّارِي رضي الله عنه :

عن أبي المهلب : كَانَ تميم يختم القرآن في سبعٍ[٣] .

وعن ابن سيرين ، أنَّ تميمًا الداري كان يقرأ القرآن في ركعةٍ[٤] .

عن مسروق : قال لي رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري ، صلى ليلةً حتى أصبح ، أوْ كاد ، يقرأ آيةً ، يردِّدُها ويبكي ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ... ﴾[٥] الآية [الجاثية : ٢١] .

---

(١) رواه أحمد في الزهد ، وأبو نُعيم في الحلية .

(٢) ابن عساكر ١٣ / ٣٧٧ / ٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٣٤٨ .

(٣) أخرجه ابن سعد ٣ / ٥٠٠ ، وإسناده صحيح .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٣ / ٣٥٩ ، والسير ٢ / ٤٤٥ .

(٥) رجاله ثقات : أخرجه الطبراني برقم ١٢٥٠ ، والسير ٢ / ٤٤٥ .

أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه :

عن عكرمة ، أنَّ أبا هريرة كان يسبِّح كلَّ يوم اثني عشر ألف تسبيحةٍ ، يقول : أسَبِّح بِقَدْرِ دِيَتِي[١] .

أبو مسلم الخَوْلَاني :

كان يرفع صَوْته بالتَّكْبير حتَّى مع الصبيان ، ويقول : « اذْكُر الله حتى يرى الجاهلُ أنك مجنون »[٢] ، وفي رواية : « أنه مجنون »[٣] .

الأسود بن يَزِيد النَّخعي :

عن إبراهيم قال : كان الأسودُ يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وكان ينَام بين المغرب والعشاء ، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ستِّ ليالٍ[٤] .

الإمام سُلَيم بن عِتْر :

الفقيه قاضي مصر وواعظها وقاصُّها وعابدها ، وكان يُدعىٰ الناسك ؛ لشدة تألُّهه .

عن الحارث بن يزيد أن سُلَيم بن عتر كان يقرأ القرآنَ كلَّ ليلةٍ ثلاث مرات[٥] .

---

(١) السير ٢ / ٦١٠ ، تاريخ دمشق ١٩ / ١٢٢ / ٢ .
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٩ / ١٧ ب .
(٣) السير ٤ / ١٠ .
(٤) السير ٤ / ٥١ .
(٥) السير ٤ / ١٣٢ .

أبو العالية : رُفيع بن مِهْران :

عن أبي العالية : كان ابن عباسٍ يرفعني على السَّرير - سرير دارِ الإمْرَة - وقُريش أسفل من السرير ، فتغامزت بي قريش ، فقال ابن عباس : هكذا العلمُ ، يزيد الشَّريف شرفًا ، ويُجْلس المملوك على الأَسِرَّة .

قال أبو بكر بن أبي داود : وليس أحدٌ بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية .

وقال أبو خلدة خالد بن دينار : سمعت أبا العالية يقول : كنَّا عبيدًا مملوكِين ، منا من يؤدِّي الضَّرائب ، ومنَّا من يَخْدم أهله ، فكنَّا نختم كل ليلة ، فشقَّ علينا حتى شَكَا بَعْضُنَا إلى بعض ، فَلَقينَا أصحاب رسول الله ﷺ فعلَّمُونا أن نَخْتِمَ كلَّ جمعة ، فصلَّيْنا ونمنا ، ولم يشقَّ علينا[1] .

سَعِيد بن جُبَير رضي الله عنه :

عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين[2] .

عُرْوَة بن الزُّبير :

عن ابن شَوْذب قال : كان عروة يَقْرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا ، ويقوم به الليل ، فما تركه إلا ليلة قُطعتْ رِجْله ، وكان وَقَعَ فيها الآكِلَةُ ، فنُشِرَت ، وكان إذا كان أيام الرُّطب يَثْلَم حائطَه ، ثم يَأْذَن للناس فيه ، فيدخلون يأكلون ....

(١) طبقات ابن سعد ٧ / ١١٣ ، والسير ٤ / ٢٠٩ .

(٢) حلية الأولياء ٤ / ٢٧٣ ، وطبقات ابن سعد ٦ / ٢٥٩ ، والزهد لأحمد ٣٧٠ ، والسير ٤ / ٣٢٥ .

ويحملون[١].

عَبْد الله بن مُحَيْرِيز :

قال عمرو بن عبد الرحمٰن بن محيريز : كان جَدي يختم في كل جمعة ، وربَّما فَرَشْنا له فلم ينم عليه[٢].

أبو عبد الرَّحمٰن السُّلمي ، عبد الله بن حبيب ، مُقْرئ الكُوفة :

عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْركم مَنْ تَعَلَّمَ القُرآن وَعَلَّمه »[٣].

قال أبو عبد الرحمٰن : فذلك الذي أَقعدني هذا المَقْعد .

قال أبو إسحاق السَّبيعي : إن أبا عبد الرحمٰن كان يُقرئ الناسَ في المسجد الأعظم أربعين سنةً .

وقال أبو عبد الرحمٰن السُّلمي : أقبلتُ على زيد بن ثابت ، فقرأت عليه القرآن ثلاثَ عشرة سنة .

وقال رحمه الله : إنَّا أخذنا القرآن عن قومٍ أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلَّموا عشر آيات لم يُجَاوِزُوهنَّ إلى العشر الأخر حتى يَعْمَلوا ما فيهنَّ ، فكنَّا نتعلم القرآن والعمل به ، وإنه سَيرث القرآنَ بعدنا قومٌ يشربونه شُرْبَ الماء ، لا يجاوز تَرَاقِيهم ، بل لا يُجَاوز هاهنا . ووضع يده على حلقه .

(١) ابن عساكر ١١ / ٢٨٦ ب ، والحلية ٢ / ١٧٨ - ١٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٤٢٦ .

(٢) ابن عساكر ٧١ أ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٤٩٥ .

(٣) رواه البخاري .

نافع بن عبد الرحمٰن ، أبو رُوَيْم ، المقرئ المدني :

جَزَى اللهُ بالخَيْراتِ عَنَّا أئمةً لَنَا نَقَلُوا القُرآنَ عَذْبًا وَسَلْسَلَا
فأمَّا الكريمُ السِّرِّ في الطِّيبِ نَافِعٌ فَذَاكَ الَّذِي اخْتَارَ المَدِينَةَ مَنْزِلَا

قال مالك : نافع إمام الناس في القراءة .

وقال أحمد بن هلال المصري : قال لي الشَّيباني : قال لي رجل ممن قرأ على نافع : إن نافعًا كان إذا تكلَّم يُشَمُّ من فِيه رائحة المسك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، أو يا أبا رُويم ، أتتطَّيبُ كلما قعدتَ تُقرئ ؟ قال : ما أمسُّ طيبًا ، ولكني رأيت النبَّي ﷺ وهو يقرأ في فِيِّ[١] ، فمن ذلك الوقت أَشَمُّ من فِيِّ هذه الرائحة[٢].

رحم الله رئيس القُرَّاء نافعًا ... قرأ على سبعين من التابعين ، وأقرأ الناس دهرًا طويلًا .

قُدْوة المُفسِّرين والمُحَدِّثين قَتادة بن دِعَامة :

قال سعيد بن المسيب لقتادة : ما كنتُ أظن أن الله خلق مِثْلك .

وقال سفيان الثوري : وهل كان في الدنيا مَثل قتادة .

قال سلام بن أبي مُطيع : كان قتادة يختم القرآن في سبع ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة[٣].

---

(١) وفي سير أعلام النبلاء : يَتْفل في فيّ .
(٢) معرفة القراء الكبار للذهبي ١ / ١٠٧ تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، وشرح الشاطبية صـ ١٠ - ١٢ .
(٣) السير ٥ / ٢٧٦ .

الإمام الحُجَّة الفقيه ، قاضي المدينة : سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن ابن عَوْف :

قال ابن سعد بن إبراهيم : كان أبي يَحْتبي ، فما يَحلُّ حَبْوته حتى يقرأ القرآن(١) .

الإمام الرَّباني منصور بن زَاذَان :

شيخ واسط علمًا وعملًا ، المُتيسر له تلاوة القرآن .

قال ابن سعد : كان ثقةً حجة ، سريع القراءة ، يريد أن يَترسَّل فلا يستطيع ، وكان يختم في الضُّحى .

قال يزيد بن هارون : كان منصور بن زاذان يقرأ القرآن كلَّه في صلاة الضحى ، وكان يختم القرآن من الأُولى إلى العصر ، ويختم في اليوم مرتين ، ويصلي الليل كله(٢) .

وكان رحمه الله يبلُّ عمامَتَه من دموع عينيه .

قال هُشيم : كان منصور لو قيل له : إن ملك الموت على الباب ، ما كان عنده زيادة في العمل . وكان يصلِّي من طلوع الشَّمْس إلى أن يصلِّي العصر ، ثم يسبِّح إلى المغرب(٣) .

الإمام الحُجَّة حَسَّان بن عَطيَّة :

قال الأوزاعي : ما رأيت أحدًا أكثر عملًا في الخير من حَسَّان بن عطية .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٢١ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٤١ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٤٢ .

وقال الأوزاعي : كان حسان بن عطية إذا صلَّى العصر يذكر الله تعالى في المسجد حتى تغيب الشمس[١] .

الإمام حَمْزة بن حَبيب الزَّيَّات :

أَحَد القُرَّاء السَّبعة .

قال الذهبي : كان إمامًا حجة ، قيِّمًا بكتاب الله ، عابدًا خاشعًا قانتًا لله ، ثَخِين الورع ، عَديم النَّظِير .

كان شعيب بن حرب يقول لأصحاب الحديث : ألا تَسْألوني عن الدُّرِّ ؟ قراءة حمزة .

وقال يحيى بن معين : سمعت محمد بن فُضيل يقول : ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة .

قال حمزة رحمه الله : نظرتُ في المصحف حتى خَشِيتُ أن يَذْهب بصري .

وكان رحمه الله يُقرئ القرآن حتى يتفرق الناس ، ثم يَنْهض فيصلي أربع ركعات ، ثم يصلِّي ما بين الظهر والعصر ، وما بين المغرب والعشاء وحدَّث بعضُ جيرانه أنه لا ينام الليل ، وأنهم يسمعون قراءته يُرَتِّل القرآن[٢] .

أبو جعفر القارئ ، يَزيد بن القَعْقَاع :

أَحَدُ القرَّاء العَشْرة .

قال سليمان بن مسلم : شهدتُ أبا جعفر حين احتُضر ، جاء أبو حازم ومَشْيخةٌ ، فأكبُّوا عليه يصرخون به ، فلم يُجبْهم .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٦٧ .

(٢) معرفة القراء الكبار ١ / ١١١ - ١١٥ .

قال شيبة - وكان خَتَنه على ابنة أبي جعفر - : ألا أريكم منه عجبًا ؟ قالوا : بلى ، فكشف عَنْ صدره ، فإذا دَوَّارة بيضاء مثل اللبن ، فقال أبو حازم وأصحابه : هذا والله نور القرآن . قال سليمان : فقالت لي أمُّ ولده بعدما مات : صار ذلك البياض غرةً بين عَيْنيه .

وعن نافع ، قال : لما غُسِّلَ أبو جعفر القارئ ، نظروا ما بين نَحْره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف ، فما شكَّ من حضره أنه نور القرآن ، رحمه الله[1] .

بأبي وأمي ذلكم السَّيد .. الذي خالط القرآن لحمه ودمه .. وكان نورًا في صدره وبين عينيه بعد وفاته .

عن مالك بن أنس : كان أبو جعفر القارئ إذا مرَّ سائلٌ وهو يصلي بالليل ، دعاه فيستَتِر منه ، ثم يُلقي إليه إزاره .

شيخ الإسلام وبقيَّة الأَعْلام أبو بكر بن عَيَّاش :

قال الذهبي : قد روي من وجوه متعدِّدة أنَّ أبا بكر بن عيّاش مكث نحوًا من أربعين سنة يختم القرآن في كل يومٍ وليلة مرة .

وهذه عبادة يُخضع لها[2] .

قال يحيى الحمَّاني : لمَّا حضرت أبَا بكر الوفاةُ بكتْ أخته ، فقال لها : ما يُبْكيكِ ؟ انظري إلى تلك الزَّاوية ، فقد ختم أخوك فيها ثمانيةَ عشر ألف ختمةٍ .

(١) معرفة القراء الكبار للحافظ الذهبي ١ / ٧٥ - ٧٦ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٨ / ٥٠٣ .

أَحَـادِيثُ لو صِيغَـتْ لأَلْهَـتْ بحُسْنِهَا
عن الوَشْي أَوْ شُمَّتْ لأغْنَتْ عَنِ المِسْكِ

كان رحمه الله يقول : يا مَلَكَيَّ ، ادعُوَا اللهَ لي ، فإنَّكما أطوع لله مني[1] .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١ / ٧٩) : « هو الإمام المُجْمَعُ على فَضْله ، واسْمُهُ كُنْيَتُهُ على الصحيح ... روينا عن ابنه إبراهيم قال : قال لي أبي : إن أباك لم يَأتِ فاحشةً قَطُّ ، وإنه يختم القرآن منذ ثلاثين سنة كل يوم مرة . وَروينا عنه أنه قال لابنه : يا بنَيَّ ، إياك أن تَعْصي اللهَ في هذه الغُرفة ، فإني ختمتُ فيها اثني عَشر ألف ختمة . وروينا عنه أنه قال لابنته عند موته ، وقد بكت : يا بُنيَّة ، لا تبكي ، أتخافين أن يعذِّبني الله تعالى وقد ختمتُ في هذه الزاوية أربعةً وعشرين ألف ختمة ؟! » .

يَحْيىٰ بن وَثَّاب القارئ العابد :

مقرئ الكوفة في زمانه .

قال الأعمش : يحيى بن وثاب أَقْرأُ من بَالَ على ترابٍ .

وقال الأعمش : كان يحيى من أحسن الناس قراءة ، وربَّما اشتهيتُ تقبيل رأسه لحُسْن قراءته ، وكان إذا قرأ لم تحسّ في المسجد حركة ، كأنْ ليس في المسجد أحد .

قال الأعمش : كان يحيى بن وثّاب إذا قضى الصلاة مكث ما شاء الله ، تُعرف فيه كآبةُ الصلاة .

---

(١) السير ٨ / ٥٠٤ .

قال الأعمش : كنت إذا رأيتُه قلت : هذا قد وقف للحِساب[١] .

أبو إسْحَاق السَّبيعي :

كان رحمه الله من العلماء العاملين ، ومن جِلَّة التابعين .

عن ابن فُضيل عن أبيه قال : كان أبو إسحاق السَّبيعي يقرأ القرآن في كل ثلاث[٢] .

الزَّاهد القدوة كُرْز بن وَبَرَة :

له الصِّيت البالغ في النُّسك والتَّعبد .

سأل ربَّه أن يَقْوىٰ حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات[٣] .

ثَابِت البُنَانيّ :

قال السَّمعاني : هو من تابعي البصرة ، صَحِبَ أنسًا أربعين سنةً ، وكان أَعْبَد أهل البصرة .

« قال شعبة : كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة ، ويصوم الدهر »[٤] .

أبو حنيفة النُّعْمان :

قال شَمْس الأئمة الكردري في كتابه « مناقب الإمام أبي حنيفة » أنه : « كان يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة ، وفي رمضان كل يوم مرتين ؛ مرة في النهار ومرة في الليل .

---

(١) معرفة القراء الكبار ١ / ٦٣ - ٦٤ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٩٤ .
(٣) السير ٦ / ٨٥ .
(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢ / ٢١٩ .

وقال ابن المبارك : كان أبو حنيفة يَجْمع القرآنَ في ركعتين . وقال أيضًا : أربعةٌ من الأئمة ختموا القرآن في ركعتين : عثمان بن عفان ، وتميم الدَّاري وسعيد بن جبير ، وأبو حنيفة » انتهى مُلخّصًا .

وعن أسد بن عمرو : كان أبو حنيفة عامةَ الليل يقرأ القرآن في ركعة .

وعن مسعر بن كدام قال : دخلتُ المسجد ليلةً فرأيت رجلًا يصلِّي ، فاستَحْليتُ قراءته ، فقرأ سُبْعًا ، فقلت : يركع ، ثم قرأ الثلث ، ثم النِّصف ، فلم يزل يقرأ حتى خَتَمه كلَّه في ركعة ، فنظرت فإذا هو أبو حنيفة .

وَاصِل بن عبد الرَّحمٰن البَصْري :

قال الذهبي في العبر : « قال أبو داود الطَّيالسي : كان يختم القرآن في كل ليلة »[1].

وَكِيع بن الجَرَّاح :

قال الكَفَوي في « أعلام الأخيار » : قال يحيى بن أكثم : صحبتُه في الحَضَر والسَّفَر ، وكان يصوم الدَّهر ، ويختم القرآن كلَّ ليلة .

وعن محمد بن جرير قال : مكث وكيعٌ بعَبادان أربعين ليلة ، وختم أربعين مرة ، وتصدَّق بأربعين ألف درهم . انتهى .

مِسْعَر بن كِدَام :

قال الحافظ ابن حجر : « قال محمد بن مِسْعَر : كان أبي لا ينام حتّى يقرأ نصف القرآن »[2].

---

(١) العبر للذهبي ١ / ٢١٨ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠ / ١١٥ .

الحَسَنُ بنُ صالح بنِ حيّ الثوري :

« قال وكيع : كان الحسن وعليّ ابنا صالح ، وأمُّهما قد جزَّءُوا الليل ثلاثة أجزاءٍ يختمون فيه القرآن في بيْتهم كلَّ ليلةٍ ، فكان كلُّ واحد يقوم بثلثه ، فماتت أمُّهما ، فكانا يختمانه ، ثم مات عليّ ، فكان الحسن يختم كلَّ ليلةٍ »(١) .

الإمامُ أبو محمَّد عبدُ الله بنُ إدريس بنِ يزيد الأوْديّ :

قال الإمام النووي : « مُتَّفَقٌ على إمامته وجلالته ، وإتقانه وفضيلته ، وورعه وعبادته . روينا عنه أنه قال لبنته حين بكتْ عند حضور موته : لا تبكي ؛ فقد ختمتُ القرآن في هذا البيت أربعةَ آلافِ ختمةٍ .

قال أحمد بن حنبل : كان ابن إدريس نسيج وحده . توفي سنة ١٩٢ هـ رحمه الله تعالى »(٢) .

عَبْدُ الرَّحمٰن بنُ القاسم إمامُ مِصر وصاحبُ الإمامِ مالك :

قال أسدُ بن الفُرات : كان ابنُ القاسم يختم كلَّ يومٍ وليلة ختمتين ، قال : فنزل بي حين جئتُ إليه عن ختمة ؛ رغبةً في إحياءِ العلم(٣) .

أميرُ المؤمنين في الحديث الإمام يحيٰى بن سعيد القَطَّان :

« قال يحيٰى بن معين : أقام يحيٰى بن سعيد عشرين سنةً يختم القرآن كلَّ ليلةٍ »(٤) .

وقال عمرو بن علي : « كان يحيٰى بن سعيد القطَّان يختم القرآن كلّ

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٨٨ .
(٢) شرح صحيح مسلم ١ / ٧٨ - ٧٩ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٩ / ١٢١ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٩ / ١٧٩ .

يوم وليلة ، يدعو لألف إنسان ، ثم يخرج بعد العصر فيحدّث الناس »[(١)].

وقال علي بن المديني : « كنّا عند يحيى بن سعيد ، فقرأ رجل سورة الدُّخان ، فصعِقَ يحيىٰ ، وغُشِيَ عليه . قال أحمد بن حنبل : لو قَدَر أحدٌ أن يدفع هذا عن نفسه ، لدفعه يحيىٰ - يعني الصَّعْق - »[(٢)].

وقال يحيىٰ بن معين : وكان يحيىٰ يجيء معه بمسباحٍ ، فيُدخل يده في ثيابه فيُسبِّح[(٣)].

إمام الدنيا وناصر السُّنَّة الشّافعي :

« قال حسين الكرابيسي : بتُّ مع الشافعي ليلةً ، فكان يصلي نحو ثلث الليل ، فما رأيته يزيد على خمسين آيةً ، فإذا أكثر ، فمائة آيةٍ ، وكان لا يمرُّ بآية رحمةٍ إلا سأل الله ، ولا بآية عذابٍ إلا تعوّذ ، وكأنما جُمع له الرجاء والرهبة جميعًا »[(٤)].

قال الذهبي في « السير » (١٠ / ٣٦) : « قال الربيع بن سليمان - من طريقين عنه ، بل أكثر - : كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمةً . ورواها ابن أبي حاتم عنه ، فزاد : كل ذلك في صلاة »[(٥)].

وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١ / ٥٤) : « قال الربيع : نِمْتُ في منزل الشافعي ليالي ، فلم يكن ينام إلا يسيرًا من الليل . وقال الحميدي : كان الشافعي يختم القرآن كلَّ يومٍ ختمةً » .

هُمُ الرِّجالُ وعيْبٌ أنْ يُقالَ لمنْ   لمْ يتَّصفْ بمعاني وَصْفِهمْ رجلُ

---

(١) السير ٩ / ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) السير ٩ / ١٨٠ .

(٣) السير ٩ / ١٧٨ - ١٨٠ .

(٤) السير ١٠ / ٣٥ ، ومناقب الرازي صـ ١٢٧ ، وتوالي التأسيس : ٦٨ .

(٥) آداب الشافعي صـ ١٠١ ، مناقب الشافعي للرازي صـ ١٢٧ ، تاريخ ابن عساكر ١٥ / ١١ / ٢ .

إمامُ أهل السُّنة أحمد بن حنبل :

قال أبو نعيم في « الحلية » (٩ / ١٨١) : « ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : كان أبي يُصلّي في كلّ يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، فلمّا مرِضَ من تلك الأسواط أضعفتْه ، فكان يصلّي في كلّ يوم وليلة مائة وخمسين ركعة ، وكان قُرب الثمانين » .

لله درُّك يا إمام ، أنت في وادٍ ، والناس في وادٍ آخر . لسان حالك يقول :

أنْتَ تدري أيُّهَا الحيرانُ عنّا   كيفَ فوقَ الشَّمسِ أزمانًا حلَلْنا

يقول عبد الله بن أحمد : « وكان يقرأ في كلّ يوم سُبْعًا ، يختم في كل سبعةِ أيامٍ ، وكانت له ختمة في كل سَبْع ليالٍ سوى صلاة النهار ، وكان ساعة يصلي عِشاءَ الآخرة ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو »[1] .

وقال هلال بن العلاء : « خرج الشافعي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة ، فلما أنْ صاروا بمكة ، نزلوا في موضع ، فأمّا الشافعي فإنه استلقى ، ويحيى بن معين أيضًا استلقى ، وأحمد بن حنبل قائم يصلي ، فلما أصبحوا قال الشافعي : لقد عملتُ للمسلمين مائتيْ مسألة .

وقيل ليحيى بن معين : أيّ شيءٍ عملتَ ؟ قال : نفيتُ عن النبي ﷺ مائتي كذّاب .

وقيل لأحمد بن حنبل : فأنت ؟ قال : صلّيْتُ ركعاتٍ ختمتُ فيها القرآن .

---

(١) مناقب الإمام أحمد صـ ٣٥٧ .

وعن جعفر بن أبي هاشم قال : سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : ختمتُ القرآن في يوم ، فعددتُ موضع الصبر ، فإذا هو نيِّفٌ وتسعون »[١].

أبو العباس : أحمد بن محمد بن سهْل بن عطاء :

قال أبو نعيم : « سمعتُ أبا الحسين محمد بن علي صاحِب الجنيد بن محمد يقول : صحبتُ أبا العباس بن عطاء عدّةَ سنين متأدبًا بآدابه ، وكان له في كل يوم ختمةٌ ، وفي كلّ شهر رمضان – في كل يوم وليلة – ثلاثُ ختمات »[٢].

بِشْرُ بْنُ الحارث الحَافي :

« قال علِيُّ بن المَدِيني : ما رأيتُ أخوفَ لله منه ، كان يصلي كلَّ يوم خمسمائة ركعة .

قال ابن المديني : حَفَرَ – بشرٌ – قبرَه ، وختم فيه القرآن ، وكان وِردُه ثُلُث القرآنِ »[٣].

عَبْدُ الرَّحمٰن بنُ مَهْدي :

قال عليّ بن المديني : كان وِرْدُ عَبْدِ الرحمٰن كلَّ ليلةٍ نصف القرآن[٤].

قال الذهبي في السير : « عبد الرحمٰن له جلالةٌ عجيبةٌ ، وكان يُغْشَىٰ عليه إذا سَمِعَ القرآن » . نقله صاحب « شريعة المقارئ »[٥].

---

(١) مناقب الإمام أحمد صـ ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٢) الحلية ١٠ / ٣٠٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٦٠ .

(٤) السير ٩ / ٢٠٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٩ / ١٥٣ .

الجُنَيْدُ :

قال أبو الحسين بن الدّرّاج : ذكر الجنيد أهلَ المعرفة بالله ، وما يُراعُونه من الأوْراد ، والعبادات بعد ما ألطفهم اللهُ به من الكرامات ، فقال الجنيد : العبادة على العارفين أحسنُ من التِّيجانِ على رؤوس الملوك[١].

قال أبو بكر العطوي : كنت عند الجنيد حين مات فختم القرآن ، ثم ابتدأ من البقرة فقرأ سبعين آيةً ، ثم مات ، رحمه الله[٢].

وقال الجنيد ، رحمه الله : إنَّ الله عز وجل يخلُص إلى القلوب مِن بِرِّه حَسبَمَا خَلَصَتْ القلوبُ به إليه من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبَك .

وكان رحمه الله يقول - عمَّن قال وتكلَّم بإسقاط الأعمال - : هذه عندي عظيمةٌ ، والذي يسرق ويزني أحسنُ حالًا من الذي يقول هذا ، وإنّ العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله ، وإليه رجعوا فيها ، ولو بقيتُ ألفَ عامٍ لم أُنقصْ من أعمال البرّ ذرةً ، إلا أنْ يُحال بي دونَها .

وقال رحمه الله : لو أقبل صادقٌ على الله ألفَ ألفِ سنةٍ ، ثم أعْرَضَ عنه لحظةً كان ما فاتَهُ أكثرَ مِمَّا نالَه .

وقال الجنيدُ رحمه الله : مَن استخلَصَهُ الحقُّ بمفرد ذكره وصافاه ، يكون له وليًّا منتخَبًا مكرَّمًا مُواصلًا ، يُورِثُه غرائبَ الأنبياءِ ، وَيَزِيدُه في التقريب زلفىٰ ، ويُثَبِّتُه في مَحَاضِرِ النَّجْوَىٰ ، ويصطنِعُه للاصْطفاءِ ، ويرفعُه إلى الغاية القُصوىٰ ، وَيُبَلِّغُهُ في الرِّفعة إلى المُنْتَهَىٰ ، ويُشْرِفُ به من ذِرْوَةِ

---

(١) الحلية ١٠ / ٢٥٧ .

(٢) الحلية ١٠ / ٢٦٤ .

الذُّرا على مواطنِ الرُّشْدِ والهُدَىٰ ، وعلى درجاتِ البَرَرَةِ الأتقياءِ ، وعلى منازل الصَّفوةِ والأَوْلياء ، فيكون كلُّه مُنْتَظِمًا ، وعليه بالتمكين مُحتويًا ، وبأنْبائِهِ خبيرًا عالمًا ، وعليه بالقوة والاسْتظهارِ حاكمًا ، وبإرشاد الطالبين له إليه قائمًا ، وعليهم بالفوائد والعَوائد والمنافع دائمًا ، وَلِمَا نَصَبَ له الأئمة مِنَ الرِّعَايةِ لَدَيْهِ به لازمًا ، وذَلِكَ إمامُ الهداةِ السُّفراء العظماء الأجلّة الكبراء ، الذين جعلهم للدِّين عُمُدًا وللأرض أوْتادًا .

عَطَاءُ بنُ السَّائِبِ :

قال عنه الإمامُ أحمد بن حنبل : « عطاءُ بن السائبِ ثقةٌ ثقةٌ ، رجلٌ صالحٌ ، وَمَنْ سَمِعَ منه قديمًا كان صحيحًا ، وكان يختم كلَّ ليلةٍ »[١].

عُمَيْرُ بنُ هانِئ العَبْسيُّ الدارانيّ :

قال أبو داود : كان عُمَيْرُ بنُ هانِئ قَدرِيًّا ، يُسَبّحُ كلَّ يومٍ مائةَ ألفِ تسبيحةٍ[٢].

بَكْرُ بنُ سَهْلِ بنِ إسماعيلَ الإمامُ المفسِّر المُقْرِئ :

كان له القَدَحُ المُعَلَّىٰ فِي خَتْمِ القرآنِ في أقَلِّ مُدةٍ .

أبُو قبيصَةَ الإمامُ الخَيِّرُ محمدُ بنُ عبدِ الرحمٰن الضَّبّي :

قال إسماعيل الخُطَبي : سألت أبا قبيصةَ الضَّبي - وكان مِنْ أَدْرَسِ مَنْ رأَيْنَاه للقرآن - عَنْ أكثر ما قرأ في يوم ، وكان يُوصف بسرعة القراءة ، فامتنَع أن يخبرني ، فَلَمْ أزَلْ به حَتّى قال : قرأت في يومٍ مِنْ أيام الصَّيْف أربع خُتَم ، وبلغتُ في الخامسة إلى « براءة » ، وأَذَّنْتُ العصر .

---

(١) التعليق على الرحلة للخطيب البغدادي لنور الدين عتر صـ ١٤٢ .
(٢) السير ١٣ / ٢١٧ ، ٥ / ٤٢١ .

قال : وكان من أهل الصدق[١] .

الكتَّانِيُّ القُدْوَةُ أبو بكر محمدُ بن علي بن جعفر :

قال الذهبي : « يقال : ختم الكتانيُّ في الطّواف اثنتي عَشْـرَة ألفِ ختمةٍ ، وكان من الأولياء »[٢] .

وكان رحمه الله يقول : مِنْ حكَمِ المريد أن يكون نومُهُ غَلَبَةً ، وأكْلُهُ فاقةً ، وكلامُهُ ضرورةً .

أَبُو سَهْلِ القطّان : أحمدُ بنُ محمد بن عبد الله :

« قال أبو عبد الله بن بشْر القطّان : ما رأيتُ أحسن انتزاعًا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد ، وكان جارَنا ، وكان يُديمُ صلاةَ الليل والتلاوة ، فَلِكَثْرَةِ دَرْسِهِ صارَ القرآنُ كأنَّه بيْن عَيْنَيْهِ »[٣] .

الإمام القدوة شيخ نيسابور ، أبو عبد الله أحمد بن حرْب بن فيروز :

قال زكريا بن دَلَّوَيه : كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدي الحجّام لِيُحفي شاربَه ، يُسبّح ، فيقول له الحجَّام : اسكت ساعةً ، فيقول : اعمل أنت عملك ، وربما قطع من شفته ، وهو لا يعلم .

وقال محمد بن يحيى : مرّ أحمد بن حرب بصبيان يلعبون ، فقال أحدهم : أمسكوا ؛ فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل . فقبض على لحيته ، وقال : الصبيان يهابونك وأنت تنام ؟ فأحيا الليل بعد ذلك ، حتى مات[٤] .

---

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٣١٥ ، والسير ١٣ / ٤٩٢ .
(٢) السير ١٤ / ٥٣٥ .
(٣) تاريخ بغداد ٥ / ٢٤٥ ، والسير ١٥ / ٥٢١ .
(٤) السير ١١ / ٣٢ - ٣٣ .

قال يحيى بن يحيى التميمي : إن لم يكن أحمد بن حرب من الأبدال ، فلا أدري مَنْ هم ؟!

« وقال أحمد بن حرب رحمه الله : عبدتُ الله خمسين سنةً ، فما وجدتُ حلاوة العبادة حتى تركتُ ثلاثةَ أشياءٍ : تركت رضا الناس حتى قدرتُ أن أتكلم بالحق ، وتركتُ صحبة الفاسقين حتى وجدتُّ صحبة الصالحين ، وتركتُ حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة »(١).

لله دَرُّ أهل القرآن ، كم أَنِسُوا بكتاب ربهم ، وعلّموه لغيرهم ! فهذا :

محمد بن أبي محمد أبو شجاع ابن المقرون البغدادي :

تصدّر للإقراء والتلقين ستين سنةً ، حتى لقّن الآباء والأبناء والأحفاد احتسابًا لله تعالى ، فكان لا يأخذ من أحد شيئًا ، ويأكل من كسب يمينه(٢).

وشيخ همذان : أبو العلاء الهمذاني العطّار المقرئ :

يقول : « كنتُ أبيتُ ببغداد في المساجد ، وآكُلُ خبز الدّخن ... » قال عبد القادر : ثم عظم شأنه حتى كان يمرُّ بالبلد ، فلا يبقى أحد رآه إلا قام ودعا له ، حتى الصبيان واليهود ... وكان يُقرئ نصف نهاره القرآن والعلم ، ونصفه الآخر الحديث ، وكانت السُّنة شعارَه ودِثاره اعتقادًا وفعلًا ، وكان لا يمسُّ الجزء الحديثي إلا على وضوء »(٣).

لله دَرُّ أهل القرآن ! كم كان أُنسهم بكتاب ربهم !

---

(١) السير ١١ / ٣٤ .

(٢) معرفة القراء الكبار ٢ / ٥٦٩ .

(٣) معرفة القراء الكبار ، ٢ / ٥٤٣ - ٥٤٤ .

فهذا الصحابي الجليل عبّاد بن بشر يقوم الليل ، ويُصاب بالأسهم وهو يصلي ويقرأ ، فما يمنعه ذلك عن قراءته ، ويقول لعمار بن ياسر : « كنت في سورة فكرهتُ أن أقطعها » .

وعروة بن الزبير : كان يقرأ كلّ يوم ربْع الختمة في المصحف ، ويقوم الليل به ، فما قطعه حتى في الليلة التي قُطعت فيها رجله .

وهذا الشيخ ابن مقرون وابن العطار يتصدران للإقراء السنين الطويلة ... فسقى الله قبورهم عاطرَ رحمته وملأها عليهم نورًا وخضرًا إلى يوم يُبعثون .

الإمامُ القدوةُ الشَّهِيدُ أبو بكر محمد بن أحمَدَ بن سَهْلٍ ، المعروفُ بابنِ النابلسي :

قال أبو ذرّ الحافظُ : سجنه بنو عبيدٍ - الفاطميُّون - وصلبُوه على السنّة ، سمعت الدارقطني يذكره ويبكي ، ويقول : كان يقول وهو يُسْلَخُ : ﴿ **كان ذلك في الكتاب مسطورًا** ﴾ .

« قال أبو الفرج ابن الفرج : أقام جوهر - القائدُ - لأبي تميمٍ صاحب مصر أبا بكر النابلسي ، وكان يَنزل الأكواخ ، فقال له : بلغني أنك قلت : إذا كان مع الرجل عَشْرةُ أسهم ، وجب أن يرمي في الروم سَهْمًا وفينا تسعةً . قال : ما قلتُ هذا ، بل قلت : إذا كان معه عَشْرة أسهمٍ وجب أن يرميَكم بتسعةٍ ، وأن يرميَ العاشر فيكم أيضًا ، فإنكم غيَّرتم المِلّة ، وَقَتَلْتُم الصالحين ، وادَّعيتُم نورَ الأُلوهية ، فشهره ثم ضربه ، ثم أمر يهوديًّا ، فسلخه .

قال مَعْمَر بن أحمد بن زياد الصوفي : أخبرني الثقةُ أنّ أبا بكر سُلخ

من مفرقِ رأسِهِ ، حتى بلغ الوَجْهَ وكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر ، فرحمه السلّاخ ، فوكزه بالسكين موضع قلبه ، فقضى عليه ؛ وأخبرني الثقةُ أنَّه كان إمامًا في الحديث والفقه ، صائمَ الدهر ، كبير الصَّوْلةِ عند العامّة والخاصَّة ، ولما سُلخ كان يُسمع من جَسَدِهِ قراءةُ القرآن »[1].

أبو بِشْر أحمد بن محمد بن حَسْنُويه ، الحَسْنُويي العابد النيسابوري :

ذكره العلامة ابنُ الأثير في « اللُّباب في تهذيب الأنساب » (١ / ٣٠٠) ، وقال : « سَمِعَ محمد بن إسحاق بن خزيمة : كان يختم القرآن كلّ ليلةٍ ».تُوفي سنة ٣٩٠ هـ،رحمه الله تعالى .

جَعْفَر بن الحَسنِ الدَّرزيجاني المقرئ الزاهد الحنبلي :

قال الحافظ ابن رجب : « كان مِنْ عبادِ الله الصالحين ، أمّارًا بالمعروف ، نهّاءً عن المنكر ، وله المقامات المشهودة في ذلك ، كان مداوِمًا على الصيام والتهجُّد والقيام ، له ختماتٌ كثيرةٌ جدًّا ، كلُّ ختمةٍ منها في ركعةٍ ، توفي في الصلاة - ساجدًا - سنة ٥٠٦ هـ،رحمه الله تعالى »[2].

أبو الحَسَنِ الْبَاهِلِي تلميذُ أبي الحسن الأشْعَرِي :

قال عنه أبو إسحاق الإسفراييني : أنا في جانب شَيْخِنَا أبي الحسن الباهلي كقطرةٍ في بحرٍ .

وقال ابن الباقّلاني : كان الباهلي من شِدّةِ اشتغالِهِ بالله مثلَ مجنونٍ أوْ وَالِهٍ[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ / ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١ / ١١٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٠٤ .

الحافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ :

قال ابْنُه القَاسِمُ : كان أبي مواظِبًا على صلاةِ الجماعةِ وتلاوة القرآنِ ، يختِمُ كلَّ جُمُعَةٍ ، ويختِمُ في رمضانَ كلَّ يومٍ ، وكان كثيرَ النّوافِلِ والأذكارِ ، ويحاسِبُ نفسَه على لحظةٍ تَذْهَبُ في غَيْرِ طَاعَةٍ[1] .

الإمامُ الصَّالح عبدُ الرحمٰن بنُ علي بن المسلم بن الخرقي الشافعي :

« قال ابن الحاجب : كان فقيهًا ، عدلًا ، صالحًا ، يتلو كلَّ يومٍ وليلةٍ ختمةً ، وقال أبو حامد ابن الصابوني في كتابه إليَّ : أُضِرّ في الآخر وأُقْعِدَ ، فاحتاج إلى وُضُوءٍ في الليل وما عنده أحدٌ ، فذكَرَ أنه قال : بينا أنا أتفكَّر ، إذ بنورٍ من السماء داخل البيتِ ، فبصُرْتُ بالماء فتوضأْتُ . حدّث بعضَ إخوانِه بهذا ، وأوصاه أنْ لا يُخبرَ بهِ إلا بعدَ موته »[2] .

شَيْخُ الإسلام أبو عُمَرَ محمدُ بنُ أحمد بن قُدامةَ المَقْدِسي :

قال الذَّهبيّ في السير (٢٢ / ٧) : « كان قدوةً ، صالحًا ، قانتًا لله ، ربّانيًّا ، خاشعًا ، مخلصًا ، عديمَ النظير ، كبيرَ القَدْر ، كثيرَ الأَوْرَادِ والذِّكْرِ ، والمروءَةِ والفُتُوَّة ، والصِّفَاتِ الحميدة ، قلّ أن تَرَىٰ العيوُن مثلَه . يتلو كلَّ ليلةٍ سُبُعًا مرتّلًا في الصلاة ، وفي النهار سُبُعًا بين الصلاتَيْن » .

أحمدُ بن رَضْوَانَ بن محمد :

مُصَنِّفُ كتاب « الواضح في القراءات العَشْر » .

« قال أبو بكر الخطيب : كان أحمد بن رضوان أحدَ القرّاء المذكورين بإتقان الروايات ، له في ذلك تصانيف ، توفي وهو شابٌّ ، وقد كان الناسُ

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٦٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ١٩٦ – ١٩٧ .

يقرءون عليه في حياة الحمامي لعلمه ، حضرته ليلةً في الجامع ، فقرأ فيها ختمَتَيْن قبل أن يَطْلُع الفجر »[١].

شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تيميَة :

قال عنه الحافظ عمر بن علي البزار :

« أمَّا تعبُّده - رضي الله عنه - فإنه قلَّ أن سُمِعَ بمثلِهِ ؛ لأنَّه كان قد قطع جُلَّ وقتِهِ وزمانِهِ فيه ، حتى إنه لم يجعلْ لنفسهِ شاغلة تشغله عن الله تعالى ، ما يُراد له لا من أهلٍ ، ولا مال . وكان في ليله ، منفردًا عن الناس كلهم ، خاليًا بربه عز وجلّ ، ضارعًا مواظِبًا على تلاوة القرآن العظيم ، وكان قد عُرفت عادته : لا يكلمه أحدٌ بغير ضرورة بعد صلاة الفجر ، فلا يزالُ في الذكر يُسْمِعُ نفسه ، وربما يَسْمع ذكَرَه منْ إلى جانبهِ .. هكذا دأبه حتى ترتفع الشمس »[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن القيم : « حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلَّى الفجر ، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريبٍ من انتصاف النهار ، ثم التفت إلّي وقال : هَذِهِ غَدْوتي ، وَلَوْ لَمْ أتغدّ الغدَاءَ ، سقطتْ قوتي . أوْ كلامًا قريبًا مِنْ هذا .

وقال لي مرةً : لا أترك الذِّكر إلا بنيَّةِ إجمام نفسي وإراحَتِهَا ؛ لأستعد بتلك الرَّاحة لذكْرٍ آخَر . أو كلامًا هذا معناه[٣] .

وقال ابنُ القيم في « الوابِل الصيِّب » (٨٤) : « سمعتُ شَيْخَ الإسلام ابنَ تيمية - قَدّس اللهُ روحه - يقول : « الذِّكْرُ للقلب مثلُ الماءِ

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ٤ / ١٦١ .

(٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار صـ ٣٦ - ٣٨ .

(٣) الوابِل الصيِّب لابن القيم صـ ٨٤ .

للسَّمَكِ ، فكيْف يكون حالُ السَّمك إذا فَارَقَ الماءَ ؟! » .

وقال : « سَمِعْتُ شَيْخَ الإسلام ابنَ تيمية - قَدَّس اللهُ روحه - يقول : إنَّ في الدنيا جنَّةً ، مَنْ لَمْ يدْخُلْهَا ؛ لا يدخل جنَّةَ الآخِرَة » .

وقال لي مرةً : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنَا جَنَّتي وَبُسْتَانِي في صَدْري ، إنْ رُحْتُ ، فهي معى لا تُفارقُني ؛ إنَّ حَبْسِي خلْوَةٌ ، وقتلي شهادةٌ ، وإخْراجي مِنْ بَلَدِي سياحةٌ .

وكان يقول في محبسه في القلعة : لو بذلتُ ملءَ هذه القلعة ذَهَبًا ، ما عَدَل عندي شُكْرَ هذه النعمة . أو قال : ما جزيتهم على ما تسبَّبوا لي فيه مِنَ الْخَيْرِ . ونحوَ هذا .

وكان يقول في سجوده ، وهو محبوسٌ : « اللهمَّ أعنِّي على ذكْرك وشكرك ، وحُسْنِ عبادتك » . ما شاء الله .

وقال لي مرةً : المحبُوسُ مَنْ حُبِسَ قَلْبُهُ عن رَبِّهِ تعالى ، والمَأْسُورُ مَنْ أَسَرَهُ هَوَاهُ .

ولما دخل القلعةَ ، وصارَ داخلَ سُورِهَا ؛ نظر إليه ، وقال : ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ [الحديد : ١٣] »[1] .

وما هذا إلا لِتَفَرُّغِهِ لتلاوة القرآن في السجن بعد أن أخذُوا منه أقلامه وكتبه ودفاتره .

« وَخَتَمَ القرآن مُدَّةَ إقَامَتِهِ بالقلعة - ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة -

---

(١) الوابل الصيب صـ ٩٤ .

انتهى في آخر ختمةٍ إلى آخر:اقتربت الساعة ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَر فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾ ثم كُمّلت عليه بعد وفاته ، وهو مُسَجًّى . كان كلَّ يومٍ يقرأُ ثلاثةَ أجزاءٍ ، يختِمُ في عَشْرَةِ أيَّامٍ . هكذا أخبرني أخوه زَيْنُ الدين »[١] .

* * *

« سُبْحَانَ مَنْ أَشْهَدَ عِبَادَهُ جَنَّتَهُ قَبْلَ لِقَائِهِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَهَا فِي دارِ العَمَلِ ، فَآتَاهُمْ مِنْ رَوْحِهَا وَنَسِيمِهَا وَطِيبِهَا ما استفْرَغَ قُوَاهُم لِطَلَبِهَا والمسابقة إِلَيْهَا » .

كان بعضُ العارفينَ يقول : لو عَلِمَ الملوكُ وأبناءُ المُلُوكِ ما نحنُ فيه ، لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسيوف .

وقال آخرُ : مساكينُ أهلِ الدُّنْيَا خرجوا منها ، وما ذَاقُوا أطْيَبَ ما فيها !

قيل : وما أطيبُ ما فيها ؟

قال : محبةُ الله تعالى ، ومعرفتُهُ وَذِكْرُهُ . أَوْ نَحْوَ هذا .

وقال آخرُ : إنَّه لَتَمُرُّ بالقلب أوْقاتٌ يَرقُصُ فيها طربًا .

وقال آخرُ : إنَّه لَتَمُرُّ بي أوقاتٌ ، أقول : إنْ كانَ أهلُ الجنَّةِ في مثلِ هذا ، إنَّهم لَفِي عيشٍ طَيِّب .

يَا مَنْ يُذَكِّرُني بِعَهْدِ أَحِبَّتي ... طَابَ الحَدِيثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ
أَعِدِ الحَدِيثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَبَاتِهِ ... إِنَّ الحَدِيثَ عَنِ الحَبِيبِ حَبِيبُ

---

(١) العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية للحافظ ابن عبد الهادي صـ ٣٦٨ .

مَلأَ الضُّلوعَ وَفَاضَ عَنْ أَجْنَابِهَا ... قَلْبٌ إِذَا ذُكِرَ الحَبِيبُ يَذُوبُ
مَا زَالَ يَخْفقُ ضَارِبًا بِجَنَاحِهِ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَطِيرُ قُلُوبُ

قال ابن القيم : « فَمَحَبَّةُ اللهِ تعالى ، وَمَعْرِفَتُهُ ، ودوامُ ذكرِهِ ، والسُّكُونُ إِلَيْهِ ، والطُّمَأْنِينَة إليهِ ، وإفرادُه بالحُبِّ ، والخوف والرجاء والتَّوكُّل والْمُعَامَلَة ، بِحَيْثُ يكونُ هو وحدَهُ المستولي على همومِ العبدِ ، وعزماتِهِ وإرادَتِهِ – هو جَنَّةُ الدنيا ، والنعيمُ الذي لا يُشْبِهُهُ نعيمٌ ، وهو قُرَّةُ عَيْنِ المحبين ، وحياةُ العارفين » .

يَا ذَا الذي أَنِسَ الفُؤَادُ بِذِكْرِهِ ... أَنْتَ الَّذِي مَا إِنْ سِوَاهُ أُرِيدُ
تَفْنَى اللَّيَالي والزَّمَانُ بَأَسْرِهِ ... وَهَوَاكَ غَضٌّ فِي الفُؤَادِ جَدِيدُ

ولله ما أحلى قَوْلَ الشاعرِ :

والله مَا طلعتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ ... إِلَّا وَحُبُّكَ مَقْرُونٌ بِأَنْفَاسِي
وَلَا جَلَسْتُ إِلَى قَوْمٍ أُحَدِّثُهُمْ ... إِلَّا وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَّاسِي

قال فَتْح المَوْصِلي : المحبُّ لا يَجِدُ مَعَ حبِّ اللهِ للدنيَا لذةً ، ولا يَغْفلُ عن ذِكْرِ اللهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ .

لَا لِأَنِّي أَنْسَاكَ أُكْثِرُ ذِكْرَاكَ ... وَلَكِنْ بِذَاكَ يَجْرِي لِسَانِي

ولله دَرُّ القائل :

خَطَرَاتُ ذِكْرِي تَسْتَثِيرُ مَوَدَّتِي ... وَأُحِسُّ مِنْهَا فِي الفُؤَادِ دَبِيبَا
لَا عُضْوَ لِي إِلَّا وَفِيهِ مَحَبَّةٌ ... فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا

الْمُحِبُّ لله طائرُ القَلْبِ ، كَثِيرُ الذكرِ ، مُتَسَبِّبٌ إلى رِضْوَانِهِ بِكُلِّ سَبِيلٍ يقدِرُ عليه من الوسائِلِ والنَّوافل شوقًا .

إِذَا نَسِيَ النَّاسُ العُهُودَ وأغْفَلوا ... فَعَهْدُكَ فِي قَلْبِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي

ولله دَرُّ القائل :

ذَكَرْتُكَ لا أنِّي نَسِيتُكَ لَحْظَةً وَأَهْوَنُ مَا فِي الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي

وعالي الهِمَّة ينظُرُ إلى عِظَمِ أجْرِ الذكْر ، فَيُدَاوِمُ عَلَيْهِ ، وخاصةً بعض الأذكار .

وَمَنْ شاءَ أنْ يسكنَ رِيَاضَ الجنَّةِ في الدنيا ، فَلْيَسْتَوطِنْ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ؛ فإنها رياضُ الجنة .

عن جابرٍ رضي اللهُ عنه ، قال : خَرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ ، فقال : « يَاأَيُّهَا النَّاسُ ، ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الجنَّة » قلنا : يا رسول الله ، وما رِيَاضُ الجَنَّةِ ؟ قال : « مجالسُ الذِّكْرِ » ثم قال : « اغْدُوا ورُوحوا واذكروا ، فَمَنْ كان يحبُ أنْ يعلمَ منزلتَهُ عندَ اللهِ ، فلينظُرْ كيفَ منزلةُ اللهِ تعالى عِنْدَهُ ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يُنْزِلُ العبدَ مِنْهُ حيثُ أنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ »(١).

وفي الترمذي : عن أنسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا » قالوا : يا رسول الله ، وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ ؟ قال : « حِلَقُ الذِّكْرِ »(٢).

ودُور الجنَّةِ تُبْنَى بالذكْرِ ، فإذَا أمْسَكَ الذاكرُ عن الذكر ، أمْسَكَتِ الملائكةُ عَنِ البناءِ .

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « لَقِيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي إبْرَاهِيمَ الخليلَ عليه السلام ، فقال : يا محمد ، أقْرِئ أُمَّتَكَ مِني السلامَ ، وأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجنةَ طيبةُ التُّربَةِ ، عَذْبَةُ الماءِ ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ ، وأنَّ غراسَهَا : سبحانَ الله ، والحمدُ للهِ ، ولا إلـه

---

(١) حسنٌ بشواهده : أخرجه ابن أبي الدنيا .

(٢) حسنٌ بشواهده .

إلا الله ، والله أكبر »[١] .

فالذكرُ غراسُها وبناؤُها . قال الحسنُ عن بناء الملائكة لدُور الجنة : بالذكر - بأبي أنتم وأمي - أعِينُوهم على العمل .

وكان أحدُ العُبَّادِ يستشعِرُ حضورَ الملائكةِ لمجالسِ الذكرِ ، فيقول حين يشرع في ذكره : أهلًا بملائكةِ ربي ، لا أعدمُكم اليومَ خيرًا ، خذوا على بركةِ الله .

والله - عز وجل - يباهي بالذاكرين ملائكته ، كما روى مسلمٌ في صحيحه عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : خرج معاوية على حلقةٍ في المسجد ، فقال : ما أجلسكُم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى . فقال : آلله ، ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا: آلله ، ما أجْلَسَنَا إلَّا ذلك . قال : أمَا إني لمْ أستحلفْكم تهمةً لكم ، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثًا مني ، وإنَّ رسول الله ﷺ خرج على حَلقَةٍ من أصحابه ، فقال : « ما أجْلَسَكُم ؟ » قالوا : جَلَسْنَا نذكر الله تعالى ، ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومَنّ به علينا . قال : « آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ » قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : « أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم ؛ ولكن أتاني جبريل ، فأخبرني أن الله - تبارك وتعالى - يُباهي بكم الملائكةَ » .

فهذه المباهاة من الربِّ - تبارك وتعالى - دليلٌ على شرف الذكر عنده ومحبته له ، وأن له مزيةً على غيره من الأعمال .

يا هذا ، إن مدمنَ الذكر يدخل الجنة وهو يضحك . فللَّه درُّها من منزلةٍ .

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن غريب ، وهو حديث حسنٌ بشواهده .

والذاكرون ، كما جاء في الحديث : « هم الجلساءُ لا يشقى بهم جليسُهم »؛ مِن بركتِهم على نفوسهم ، وعلى جليسهم .

فمجالس الذكر مجالسُ الملائكةِ ، ومجالس الغفلة مجالسُ الشياطين ، وكلٌّ مضافٌ إلى شكله وأشباهه ، وكلُّ امرئ يصيرُ إلى ما يناسبُه .

والذكر يُوجب صلاة الله عز وجل على الذاكر ، وَمَن صلَّى الله - تعالى - عليه وملائكتُه ، فقد أفلح كلَّ الفلاح ، وفاز كلَّ الفَوْز . فيا حسرة الغافل دنيء الهمة عن ربه ، ماذا حرم من خيْره وفضله !

والذكر يورث ذكر الله تعالى للذَّاكر ؛ قال تعالى : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٥٢] ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدَها ، لكفى بها فضلًا وشرفًا .

يقول يحيى بن معاذ الرازي : « يا غَفولُ ، يا جهول ، لو سمعتَ صَرِيرَ الأقلامِ في اللَّوْح المحفوظ ، وهي تكتب اسمَك عند ذكرك لمولاك لَمُتَّ شوقًا إلى مولاك » .

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ ، قال : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه ، مثلُ الحيِّ والميِّت » .

عالي الهمّة سبّاق إلى الذكر :

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يسيرُ في طريقِ مكةَ ، فمرّ على جبلٍ يُقال له : جُمْدان ، فقال : « سيروا ، هذا جُمْدان ، سبق المُفرِّدون » قيل : وما المفرِّدون يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات » .

وعن معاذ بن جبل ، قال : سألت رسول الله ﷺ : أيُّ الأعمالِ أحبّ إلى الله عز وجلّ ؟ قال : « أن تموت ولسانك رطبٌ من ذكر الله

عز وجل »[1] .

وعالي الهمة يضعُ نصبَ عَينيه أن العطاءَ والفضلَ الذي رُتِّبَ على الذكر لم يُرَتَّبْ على غيره من الأعمال :

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال : لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير ، في يوم مائة مرةٍ ،كانت له عَدْلَ عشْرِ رقابٍ ، وكُتبتْ له مائةُ حسنةٍ ، ومُحِيَتْ عنه مائةُ سَيِّئَةٍ ، وكانتْ له حِرزًا من الشَّيْطان يومَهُ ذلك ، حتَّى يُمسي ، ولمْ يأتِ أحدٌ بأفضلَ مِمَّا جاء به ، إلَّا رجلٌ عَمِلَ أكثرَ منه . ومن قال : سبحان الله وبحمده ،في يوم مائة مرة حُطّتْ عنه خطاياه وإن كانت مثلَ زبد البحر » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأَن أقولَ : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر أحبُّ إليّ مما طلعتْ عليه الشمسُ » . رواه مسلم . وحديث السوق[2] وعظم أجره .

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلُّكَ على ما هو أكثرُ من ذكرِكَ اللهَ الليلَ مع النهارِ ؟ تقول : الحمد لله عدد ما خلق ، الحمد لله ملءَ ما خلق ، الحمد لله عدد ما في السمٰوات وما في الأرض ، الحمد لله عدد ما أحصىٰ كتابُه ، والحمد لله على ما أحصى كتابُه ، والحمد لله عدد كلِّ شيء ، والحمد لله ملءَ كلِّ شيءٍ ، وتسبِّح الله

---

(١) حسن : أخرجه ابن حبان والبزار .

(٢) صحَّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصحَّحه البوصيري ، وحسّنه الحافظ .

مثلَهن ، تعلَّمْهن ، وعلِّمْهن عقِبَك مِنْ بَعْدِك »[١].

وقال رسول الله ﷺ : « أيُعجزُ أحدكم أنْ يكسب كلَّ يوم ألفَ حسنةٍ ؟ يسبح الله مائة تسبيحة ، فيكتب اللهُ له بها ألفَ حسنةٍ ، ويحطُّ عنه بها ألف خطيئةٍ »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « لا يذكرني عبدٌ في نفسه إلا ذكرتُه في ملأ من ملائكتي ، ولا يذكرني في ملأ ، إلا ذكرتُه في الرفيق الأعلى »[٣].

وقال ﷺ : « ليس أحدٌ أفضلَ عند الله من مؤمن يعمّر في الإسلام لتكبيره ، وتحميده ، وتسبيحه ، وتهليله »[٤].

وقال ﷺ : « ما عَمِلَ ابنُ آدم عملًا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله »[٥].

وقال ﷺ : « لا يجلس قومٌ مجلسًا لا يصلون فيه على رسول الله ﷺ ، إلا كان عليهم حسرة ، وإن دخلوا الجنة ؛ لما يَرَوْنَ من الثواب »[٦].

وقال : « ما من ساعة تمرُّ بابن آدم لم يذكر الله فيها ، إلا حسر عليها يوم ....

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦١٥ .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي عَن سعد .

(٣) حسن : رواه الطبراني في الكبير عن معاذ بن أنس وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٣٥) .

(٤) صحيح : رواه أحمد عن طلحة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٧١).

(٥) صحيح : رواه أحمد في مسنده عن معاذ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٦٤٤) .

(٦) صحيح : رواه النسائي عن أبي سعيد ، وأحمد وابن حبان والحاكم والخطيب عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٦٢٤) .

القيامة »[١].

وقال ﷺ : « إن أفضل عباد الله يوم القيامة الحمّادون » .

وقال ﷺ : « أحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربعٌ : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلٰه إلا الله ، والله أكبر ، ولا يضرُّك بأيِّهن بدأت »[٢].

وقال ﷺ : « أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد : سبحان الله وبحمده »[٣].

وقال ﷺ : « أحب الكلام إلى الله تعالى ، ما اصطفاه الله لملائكته : سبحان ربي وبحمده ، سبحان ربي وبحمده ، سبحان ربي وبحمده »[٤].

وقال رسول الله ﷺ : « أفضل الذكر : لا إلٰه إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله »[٥].

وقال ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمٰن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[٦].

وقال رسول الله ﷺ : « لقد قلتُ بعدَكِ أربعَ كلمات ، ثلاثَ مراتٍ ، لو وُزِنَتْ بما قلتِ – منذ اليوم – لوزنتهنَّ : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته »[٧].

---

(١) صحيح : رواه الطبراني عن عمران بن حصين ، الصحيحة (١٥٨٤) . وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٧١) .

(٢) صحيح : رواه مسلم وأحمد عن سمرة بن جندب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٣) .

(٣) صحيح : رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي ذر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٤) .

(٤) صحيح : رواه الترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب عن أبي ذر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٧٥) .

(٥) حسن : رواه الترمذي والنسائي وابن حبان وابن ماجه والحاكم عن جابر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٤) .

(٦) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه .

(٧) رواه مسلم عن جويرية .

يقول ابن القيم : الذكر نوعان :

الأول : ذكر أسماء الرب - تبارك وتعالى - وصفاتِه ، والثناء عليه بهما ، وتنزيهُه وتقديسه عمّا لا يليق به تبارك وتعالى .

وهذا أيضًا نوعان :

أحدهما : إنشاءُ الثناء عليه بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث ؛ نحو : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلٰه إلا الله ، والله أكبر » و« سبحان الله وبحمده » ، و« لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيءٍ قدير » ... ونحو ذلك . فأفضل هذا النوع : أجمعه للثناء وأعمُّه ، نحو : « سبحان الله عدد خلقه » فهذا أفضل من مجرد « سبحان الله » .

ثانيهما : الخبر عن الربّ - تعالى - بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرىٰ حركاتِهم ، ولا تخفىٰ عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم .

وأفضل هذا النوع : الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى به عليه رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل .

وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع : حمدٌ ، وثناءٌ ، ومجدٌ .

فالحمد لله : الإخبار عنه بصفات كماله - سبحانه وتعالى - مع محبته والرضا به ، فلا يكون المحبُّ الساكت حامدًا ، ولا المُثْني بلا محبةٍ حامدًا ، حتى تجتمع له المحبة والثناء ، فإن كرر المحامدَ شيئًا بعد شيءٍ ، كانت ثناءً ، فإن كان المدْح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدًا .

وقد جمع الله - تعالى - لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة : « فإذا قال العبد : ﴿ **الحمد لله ربِّ العالمين** ﴾ ؛ قال الله : حمدني عبدي ، وإذا

قال : ﴿ **الرحمـٰن الرحيم** ﴾ قال : أثنى عليّ عبدي ، وإذا قال : ﴿ **مالكِ يوْمِ الدِّين** ﴾ قال : مجّدَني عبدي »[١] .

والثاني : ذِكْر أمْره ونهيه وأحكامه .

وهو أيضًا نوعان :

أحدهما : ذِكْره بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا ، ونهىٰ عن كذا ، وأَحبَّ كذا ، وسخِط كذا ورضي كذا .

والثاني : ذكْره عند أمْره فيُبادر إليه ، وعند نهيه فيهرب منه ، فذكْر أمْره ونهيه شيء ، وذكْره عند أمْره ونهيه شيء آخر .

فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر ، فذكره أفضل الذكر ، وأجلّه وأعظمه .

قال ابن القيم : فهذا الذكر - من الفقه الأكبر وما دونه - أفضل الذكر ، إذا صحّت فيه النية .

ومن ذكره سبحانه : ذكره بآلائه ، وإنعامه ، وإحسانه ، وأياديه ، ومواقع فضله على عبيده ، وهو أيضًا من أجلِّ أنواع الذكر .

قال ابن القيم في « الوابل الصيب » : « فهـذه خمسة أنواع : وهي تكون بالقلب واللسان تارة ، وذلك أفضل الذكر . وبالقلب وحده تارة ، وهي الدرجة الثانية ، وباللسان وحده تارة ، وهي الدرجة الثالثة .

فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان ، وإنما كان ذكْر القلب وحده أفضلَ من ذكر اللسان وحده ؛ لأن ذكر القلب يُثمر المعرفة ، ويهيّج المحبة ، ويُثير الحياء ، ويبعث على المخافة ، ويدعو إلى المراقبة ، ويَزَعُ عن

---

(١) صحيح مسلم .

التقصير في الطاعات ، والتهاون في المعاصي والسَّيئات ، وَذِكْر اللسان وحده لا يوجب شيئًا من هذه الآثار ، وإن أثمر شيئًا منها ، فثمرة ضعيفة » .

يقول ابن القيم في « الوابل الصيب » (١٦١ - ١٦٣) : « قراءة القرآن أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الدعاء ، هذا من حيث النظر لكلٍّ منهما مجردًا . وقد يَعْرِض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، بل يُعَيِّنه ، فلا يجوز أن يَعْدِل عنه إلى الفاضل ، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود ؛ فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهيّ عنها نَهْي تحريم أو كراهة ، وكذلك التسميع والتحميد في محلِّهما أفضل من القراءة ، وكذلك التشهد ، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة - ذكر التهليل والتسبيح ، والتكبير والتحميد - أفضلُ من الاشتغال عنه بالقراءة ، وكذلك إجابة المؤذِّن ، والقول كما يقول،أفضل من القراءة ، وإن كان فضْل القرآن على كلّ كلام كفضل الله تعالى على خلقه ، لكنْ لكلٍّ مقام مقالٌ ، متى فات مقاله فيه ، وعدل عنه إلى غيره ، اختلت الحكمة ، وفُقدت المصلحة المطلوبة منه .

وهكذا الأذكار المقيّدة بمحالّ مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة ، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ، اللهمَّ إلَّا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفعَ له من قراءة القرآن .

مثاله : أن يتفكر في ذنوبه ، فيُحْدث ذلك له توبةً من استغفار ، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن ، فَيَعْدِل إلى الأذكار والدعوات التي تُحَصّنه وتحوطه . وكذلك أيضًا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر ، لم يحضر قلبُه فيهما ، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها ، اجتمع قلبه كله على الله تعالى ، وأحدث له تضرُّعًا وخشوعًا وابتهالًا ، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء،والحالة هذه

أنفع ، وإن كان كلٌّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا . وهذا باب نافع يحتاج إلى فقهِ نفسِه ، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه ، وبين فضيلته العارضة ، فيعطى كلّ ذي حق حقه ، ويوضع كلّ شيءٍ في موضعه .

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يومًا : سُئل بعض أهل العلم : أيّما أنفع للعبد : التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال : إذا كان الثوب نقيًّا ، فالبخور وماء الورد أنفع له ، وإن كان دَنِسًا ، فالصابون والماء الحارُّ أنفع له . فقال لي رحمه الله تعالى : فكيف والثياب لا تزال دَنِسَة ؟!

فهذا أصل نافع جدًّا ، يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها ، لئلَّا يشتغل بمفضولها عن فاضلها ، فيربح إبليس الفضل الذي بينهما ، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها ، وإن كان ذلك وقته ، فتفوته مصلحته بالكلية ؛ لظنِّه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا . وهذا يحتاج إلى معرفةٍ بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها ، وفقهٍ في إعطاءِ كلّ عمل منها حقَّه ، وتنزيله في مرتبته ، وتفويته لما هو أهمُّ منه ، أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل ؛ لإمكان تدارُكه والعوْد إليه ، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه ، فالاشتغال به أولى ، وهذا كترْك القراءة لردّ السلام ؛ وتشميت العاطس ، وإن كان القرآن أفضل ؛ لأنه يمكن الاشتغال بهذا المفضول والعوْد إلى الفاضل ، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة ، فاتتْه مصلحة ردّ السلام وتشميت العاطس ، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت. والله الموفق ».ا هـ .

يقول ابنُ عطاء :

أرى الذِّكْرَ أصْنافًا مِنَ الذِّكرِ حَشْوُهَا ... ودادٌ وشوقٌ يَبْعثانِ على الذِّكْرِ
فَذِكْرٌ أَلِيفُ النَّفسِ مُمْتَزِجٌ بِهَا ... يحلُّ محلَّ الرُّوحِ في طُرِّهَا يَسْرِي
وَذِكْرٌ يُعَزِّي النَّفْسَ عنها لأنهُ ... لها مُتْلِفٌ مِنْ حيثُ تدري ولا تَدْري

وَذِكْرٌ عَلَا مِنِّي المَفَارِقَ والذُّرَا يَجِلُّ عَنِ الإدراكِ بالوهْمِ والفِكْرِ
تَرَاهُ لِحَاظُ العَيْنِ بالقَلْبِ رُؤْيةً فيجْفُو عَلَيْهِ أنْ يُشَاهَدَ بالذِّكْرِ[1]

قال ذو النون : صحبت زنجيًّا ، وكان مُفلفلَ الشّعر ، فإذا ذكر الله ابيضّ ، فوَرَدَ عليَّ أمرٌ عظيم ، فقلت : لِمَ يا هذا ، أنك إذا ذكرت الله ، تحوّل لونُك وانقلبتْ عيناك ؟ فقال :

ذكَرْنَا وَمَا كُنَّا لِنَنْسَى فَنَذْكُرُ وَلَكِنْ نَسِيمُ القُرْبِ يَبْدُو فَيَظْهَرُ
فَأَحْيَا بِهِ عَنِّي وأَحْيَا بِهِ لَهُ إذِ الحقُّ عنْهُ مُخْبِرٌ ومُعَبِّرٌ

قال ذو النون : فما طرق سمعي مثلُ حكمةِ ذلك الزّنجيّ ، فعلمت أن لله تعالى عبادًا تُعْلٰى قلوبهم بالأذكار ، كما تُعْلَى الأطيارُ في الأوكار ، لو فتشت منهم القلوبَ ، لما وجدت فيها غير حبّ المحبوب . قال : ثم بكى ذو النّون وأنشأ يقول :

وأَذكُر أصنافًا منَ الذِّكرِ حشوُها ودادٌ وشوقٌ يبعثانِ على الذِّكرِ[2]

وقال ذو النون عن الذاكرين :

رجالٌ أطاعُوا اللهَ في السِّرِّ والجهرِ فما باشرُوا اللذاتِ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ
أُناسٌ عليهم رحمةُ اللهِ أُنزلتْ فظلُّوا سُكُونًا في الكهوفِ وفي القفرِ
يراعُون نَجْمَ اللَّيل مَا يرقدونَهُ فباتُوا بإدمانِ التهجُّدِ والصَّبْرِ
فداخل هموم القَوْمِ للخلقِ وحْشَةٌ فصاحَ بهم أُنْسُ الجليلِ إلى الذِّكْرِ
فأجسادُهم في الأرض هَوْنًا مُقيمةٌ وأرواحُهم تَسْري إلى مَعدِن الفَخْرِ
فهذا نعيمُ القوم إن كنتَ تَبتغِي وتعقِلُ عن مولاك آدابَ ذَوِي القَدْرِ[3]

---

(١) التعرُّف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي صـ ٧٦ مطبعة السعادة .
(٢) الحلية ٩ / ٣٩١ .
(٣) الحلية ٩ / ٣٨٦ .

يقول ابن القيم في « مدارج السالكين » (٢ / ٤٣٣) : « وذكْر العبد لربه محفوف بذكرَيْن من ربه له : ذكرٌ قبله ، به صار العبد ذاكرًا له ، وذكر بعدَه ، به صار العبد مذكورًا ، كما قال تعالى : ﴿ **فَاذكروني أذكرْكم** ﴾ ، والذكر الذي ذكره الله به بعد ذكره له : نوع غير الذكر الذي ذكره به قبل ذكره له ، ومن كثُف فهمُه عن هذا فليجاوزْه إلى غيره ، فقد قيل :

إذا لم تستطِعْ شيئًا فَدَعْهُ   وجاوزْه إلى ما تستطيع

وَمِنْ علوّ الهمة في الذكر : « البقاءُ في الذكر ، فهو أكمل منَ الفناء فيه والغيبة به . والبقاء في الذكر الدّرب الأعظم ، والطريق الأقوم ؛ لما في البقاء من التفصيل والمعارف ، وشهود الحقائق على ما هي عليه ، والتمييز بين الرب والعبد ، وما قام بالعبد ، وما قام بالرب تعالى ، وشهود العبودية والمعبود ، وليس في الفناء شيء من ذلك .

والفناء كاسمه « الفناء » ، والبقاء « بقاء » كاسمه ، والفناء مطلوب لغيره ، والبقاء مطلوب لنفسه . والفناء وصف العبد ، والبقاء وصف الرب ، والفناء عدمٌ ، والبقاء وجودٌ ، والفناء نفيٌ ، والبقاء إثبات . والسلوك على دَرْبِ الفناء فخطر ، وكم به من مفازة ومهلكة ! والسلوك على درب البقاء آمن ؛ فإنه درب عليه الأعلام والهداة والخفراء ، ولكنّ أصحاب الفناء يزعمون أنه طويل ، ولا يشكّون في سلامته ، وإيصاله إلى المطلوب ، ولكنَّهم يزعمون أنَّ درب الفناء أقرب وراكبه طائر ، وراكب درب البقاء سائر »[1] .

ومن علو الهمة في الذكر : « الخَلاص من القيود ، والبقاء مع الشّهود ، ولزوم المسامرة .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٤٣٧ .

أمّا الخلاص من القيود : فهو التخلّص من الغفلة والنسيان ، والحُجُب الحائلة بين القلب وبين الرب سبحانه .

والبقاء مع الشهود : ملازمة الحضور مع المذكور ، ومشاهدة القلب له ، حتّى كأنه يراه .

ولزوم المسامرة : هي لزوم مناجاة القلب لربه ؛ تملُّقًا تارة ، وتضرُّعًا تارة ، وثناءً تارة ، واستعظامًا تارة ، وغير ذلك من أنواع المناجاة بالسِّر والقلب . وهذا شأن كلِّ محبٍ وحبيبه . كما قيل :

إذا ما خَلَوْنَا والرّقيبُ بمجلسٍ فنحنُ سُكوتٌ والهَوىٰ يتكلَّمُ »[1]

« والذكر الظاهر الجاري على اللسان ، المطابق للقلب : إما ثناء ، أو دعاء ، أو رعاية .

وذكر الرعاية : فمثل قول الذّاكر : الله معي . الله ناظرٌ إليّ . الله شاهدي ، ونحو ذلك مما يُستعمل لتقوية الحضور مع الله ، وفيه رعاية لمصلحة القلب ، ولحفظ الأدب مع الله ، والتحرُّز من الغفلة ، والاعتصام من الشيْطان والنفس .

والأذكار النبوية تجمع الأنواع الثلاثة ، فإنها متضمِّنة للثناء على الله ، والتعرض للدعاء والسؤال ، والتصريح به ، كما في الحديث : « أفضل الدعاء الحمد لله ».قيل لسفيانَ بن عيينة : كيف جعلها دعاء ؟ قال : أمَا سمعت قول أميَّة بن الصلت لعبد الله بن جُدعان ، يرجو نائلَه :

أأذكرُ حَاجتي أمْ قد كَفاني حياؤُك إنّ شيمتَكَ الحياءُ
إذا أثنىٰ عليكَ المرءُ يومًا كفاه مِنْ تعرُّضِهِ الثَّناءُ

(١) مدارج السالكين ٢ / ٤٣٥ .

فهذا مخلوق واكتفى من مخلوقٍ بالثناء عليه من سؤاله ، فكيف برب العالمين ؟!

والأذكار النبوية متضمنة لكمال الرعاية ، ومصلحة القلب ، والتحرُّز من الغفلات ، والاعتصام من الوساوس والشيطان . والله أعلم »[1] .

﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم** ﴾ :

« ليس العجب من قوله : ﴿ **فاذكروني** ﴾ إنما العجب من قوله : ﴿ **أذكركم** ﴾ .

يا هذا ، حفْرُ النهر إليك ، وإجراءُ الماء ليس عليك ، احضرْ ساقية ﴿ **فاذكروني** ﴾ إلى جنب بحر ﴿ **أذكركم** ﴾ ، فإذا بالغ فيها مِعْوَلُ الكدّ ، فاضتْ عليك مياهُ البحر « فبي يسمع ، وبي يُبصر » ، ألقِ بذر الفكر في أرض الخلْوة ، واسْقِ إليه ساقيةً من ماء الفكْر ، لعلَّها تُنبت لك شجرة « أنا جليسُ مَنْ ذكرني » .

﴿ **فاذكروني** ﴾ بالتذلُّل ﴿ **أذكركم** ﴾ بالتفضُّل .
﴿ **فاذكروني** ﴾ بالانكسار ﴿ **أذكركم** ﴾ بالمبارِّ .
﴿ **فاذكروني** ﴾ بتصفية السرِّ ﴿ **أذكركم** ﴾ بتوفية البرِّ .
﴿ **فاذكروني** ﴾ بالرهْبة ﴿ **أذكركم** ﴾ بتحقيق الرغْبة .
﴿ **فاذكروني** ﴾ بالتنصُّل ﴿ **أذكركم** ﴾ بالتفضُّل .
﴿ **فاذكروني** ﴾ بصفاء السر ﴿ **أذكركم** ﴾ بخالص البرّ .
﴿ **فاذكروني** ﴾ بالتعظيم ﴿ **أذكركم** ﴾ بالتكريم .
﴿ **فاذكروني** ﴾ بترْك الخطاء ﴿ **أذكركم** ﴾ بأنواع العطاء .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٤٣٤ - ٤٣٥ .

هذا ذكْره في دار الشقاء ... فكيف عند اللقاء .

هذا في دار المحنة ... فكيف في دار النعمة .

هذا وأنت على الباب ... فكيف إذا كُشف الحجاب ..؟! » .

وملأتُ كلِّي منك حتى لم أدعْ   مني مكانًا خاليًا لسواكا
والقلب فيك هيامُهُ وغرامُهُ   والرُّوح لا تنفكُّ عنْ ذكْراكا

فيا ركائبَ الأرْواح ، جدِّي في طلب هذه المنازل .

ويا نجائبَ القلوب ، أسرعي إلى نَيْل هذه الدرجات .

وكان أبو مسلم الخولاني كثيرَ الذكر ، فرآه بعضُ الناس فأنكر حاله ، فقال لأصحابه : أمجنون صاحبُكم ؟! فسمعهُ أبو مسلمٍ ، فقال : لا يا أخي ، ولكن هذا دواء الجنون .

عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا : مجنون »[1] .

وَقَدْ شرطتُ على قَوْمٍ صَحِبْتُهُمُ   بأن قلْبي لكم منْ دونهمْ غَرَض
ومِنْ حديثي بكمْ قالوا بِهِ مرضٌ   فَقُلْتُ لَا أَذْهَبَ اللهُ عَني ذلك المرض

أمر الحجَّاج بصلب ماهان العابد ، فرُفع على خشبةٍ وهو يسبِّح ويهلِّل ويعقد بيده ، حتى بلغ تسعًا وعشرين ؛ فبقي شهرًا بعد موْته ويده

---

(١) رواه أحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقي ، وقال المناوي في فيض القدير (٢ / ٨٥) : رَمَزَ المصنِّفُ لصحته ، وهو فيه تابعٌ لتصحيح الحاكم له ، وقد اقتصر الحافظ ابن حجر في أماليه على كونه حسنًا ، وقال الهيثمي : فيه « دراج » ضعَّفه جمعٌ ، وبقية رجال أحدِ إسنادَيْ أحمد ثقات . وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة وضعيف الجامع الصغير .

على ذلك العقد مضمومة .

لَتُحْشَرَنَّ عظامي بعد ما بلِيَتْ يوم الحساب وفيها حبُّكُمْ عَلِقُ

وكان خالد بن معدان يسبِّح كلَّ يوم أربعين ألفِ تسبيحة ، سوى ما يقرأ من القرآن ، فلما مات وُضع على سريره ليغسَّل ، فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح[1] .

وقال عبد العزيز بن أبي رواد : كانت عندنا امرأة بمكة تسبح كلَّ يوم اثنتي عشرة ألفِ تسبيحةٍ فماتت ، فلما بلغت القبرَ اختُلستْ من أيدي الرجال[2] .

* * *

(١) لهذه القصة إسناد منقطع في سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٤٠) ، وهي في الحلية (٥ / ٢١٠) وابن عساكر (٥ / ٢٦٠) بطريقٍ أخرى .

(٢) جامع العلوم والحكم ٤١٧ .